إلى القارئ

من الأحداث التي يعيشها وطننا هذه الأيام الزاخرة بمعاني الكفاح من أجل الكرامة والحرية الحقيقية انشاء كتابة دولة للشؤون الثقافية غايتها بعث الثقافة القومية على أسس صحيحة باحياء التراث وتوضيح المعالم وضبط الاتجاه وخلق الحماس في الجماهير الشعبية حتى يشعروا بالحاجة الى الثقافة كما يشعرون اليوم بالحاجة الى التعليم وذلك بايجاد المؤسسات والأجهزة واستغلال ما توفره الاذاعة والتلفزة والمسرح والسينما والمعارض ... من امكانيات لتحقيق هذا الهدف .

ولاشك ان بعث هذه المؤسسة الرسمية وتعيين رجل من رجال الفكر المعروفين في بلادنا بكفاءتهم واخلاصهم وتجردهم على رأسها يبعثان على الارتياح والتفاؤل بمستقبل الثقافة القومية ويحققان أمنية طالما عبرنا عنها في هذه الصفحة بالذات منذ ان احرزت البلاد على استقلالها .

ويبقى ان نتمنى للمسؤول الأول على الثقافة القومية التوفيق والنجاح خاصة وان مهمته شاقة وميدان العمل فسيح ولكن المهم هو البدء في العمل والوضوح في الطريق ونعتقد انه سيلقى من جميع المعنيين بالثقافة في هذه الديار وكل المتحمسين لشؤون الأدب والفكر التشجيع والاعانة حتى يتحقق الهدف وتزدهر الثقافة كما ازدهر التعليم والصحة وغيرهما من الشؤون الحيوية لهذه الامة التي لا تزال مصرة على فرض وجودها واستجابة القدر لارادتها الحياة .

وحدث ثان خطير بالنسبة لوطننا الأكبر هو دخول الثورة الجزائرية المباركة في عامها الثامن أقوى عزما وامضى سلاحا وأنضج وضعا من أي وقت مضى ؛ نستقبل هذا الحدث وشعورنا بتحقيق الثورة لأهدافها بلغ اليقين طالما ان الشعب الجزائري وفق الى اقامة الدليل للعالم أجمع وللخصم نفسه على حتمية الاستقلال ، وقد اعترف هذا الخصم بالواقع ولا يزال مترددا في الاسلوب الذي يمكنه من ارجاع الدار لأهلها .

وقد جاءت معظم مواضيع هذا العدد مستوحاة من هذه الثورة المباركة فهو تحية متواضعة الى الاخوان المناضلين بالسلاح او بالقلم من أجل المثل العليا والكرامة الانسانية .

نعم ، نحيي الثورة الجزائرية لا فحسب لأنها اثبتت انسانية الشعب الجزائري وجدارته بالاستقلال والحرية بل لأنها صفحة رائعة من صفحات كفاح الانسان من أجل السعادة ، من أجل الغد .

الفكر

عــــزة الفــكـــر

بقلم : احمد المختار الوزير

جَبْــــهَةٌ حُــرَّةُ الأَديـــم تَـحَــدَّتْهَـا،
مِـــنَ القَيْـــظِ، لَافِحَـــاتٌ حِـــرَارُ
غَضَّنتْهَـــــا ، فَغَـاضَ ، منْهـا ، صَفَــاءٌ
وعَـــلَاهَــا، مِـــنَ السَّمُــومِ ، قُتَــــارُ
وجُـفُـونٌ مَـــوْهُــونَة لم يُــرِحْـهَــا
ليــلُهَــا، يــالليلهـــا، أو نَهــارُ
فَتَرَتْ، فَــاختلاجُهـــا رعشـــــاتٌ
مُـــرْهَقَـــاتٌ من الشقـــا ، وانكســارُ
وشفــاهٌ محمومةٌ، قَتَلَ الصَّمْـــــتُ
صَـدَاهَا، فان دَعَتْ، فَـــســــرَارُ
كفهّـــــا، أن تُبِيــنَ، طولُ اعتبـــارِ
وجفـــــاءٌ تشقـــى به، وصغَــــارُ
ذاك سلمــــان في قريظـــة . هيهـاتَ
ديــــار، مـــن فـــارس، وجـــوَارُ
يَصْعَقُ الْأَرْضَ، جَــاهِـدًا، دأبُـــــه
الفاس تهـــاوى، لهـــا الصفـــاةُ قرارُ
ذاكَ سلمــــانُ ، همُّــه أن يرى الأَرْضَ
حـــقولا تموج، فيهـا، الثمـــــارُ

مخلص صـــادقُ الـــــولاَ، لم يُرَغِّمـِه
دعـــــــاءٌ، مـن سَيِّدٍ، واقتســـــــار

لم يقــده، الى المــراشـــــــد، الاّ
لطف رأيٍ، وحكمـــــة، وحـــــذارُ

فـــهو عبد يعـــاف خــزيًا . ويـــأبى
أن تمشَّــــى وفي خطـــاه عِثـــارُ

هـــو، في أعيــن المـــلاَ . مُسْتَــــرَقٌ
وَهـــو في عين نفســـــه، مُخْتَـــارُ

في ضحـــاه، يعنو الى الفأس والأَرض
وبـــالليـــل، بـاحث نظّـــــارُ

كلمـــا جنَّ ليلــــه عصف الشّـــك،
ولجَّــــتْ، بلبِّــــه، الأَفكــارُ

وتَجـــافَى، عن الوســـاد، ليلقَــــى،
مستعيـــدا، مـــا قد وعـــى الأَسفَـــارُ

ومضـــات الفتيـــل أنحلهـــا الليـــل،
وأودى، بوَقْدهـــا، الأَسْحَـــــارُ

وهـــو يَحْنُـــو على الكتـــاب، كما تحنو
على ضمَّـــــةِ الرَّضِيع الظُّـــــؤَارُ

وســـؤال عـلى الشـفـاه تَلَظَّـــى،
هـــو، منه، معذب محتـــــارُ

أنا، في لهفة المشوق، غنائي
نظرات سخية وجوارُ

مُدَّ، لي، راحة، معاذك، اني
لوفيٌّ على الذمام، أغارُ

أي أمن، وأي أيٍّ سلام
أي عزٍّ قد ناله الأنصارُ

أنا منهم، فهات كفك وامسح
عبرات تصونها الأشفارُ

أنا منهم، بَلَغْتُ ساحك، حسبي
قد تناهت، الى المدى، الأوطارُ

يا نَجيّ لأنت قلبي وفكري
ويقيني، وأنت أنت الذِمَّارُ

ذاك سلمان نال عزًّا، فأضحى
واليه من الملاَ، إكبارُ

ودعاه محمد، أنت منّي
أنت من، عترتي، أخي المستشارُ

يا لها عبرةً تسامتْ معانيها،
وفازت برشدها الأعصارُ

قد تآخى القرآنُ والفكرُ، أزرًا،
وتلاقت هداية وابتكارُ

واستفــــــــاضت حضـــارة وحيـــــاة
وتسَـــــامى، مـــن العـــقول، مَنَـــارُ

* * *

هـــل أتـــاك الأَنباءُ، هذي مـــن البيد
جمـــوع الى القتال، حــــــــــرَارُ

هـــــاجهـم، مـن بني النضيــر، دعــاة
فاستجـاب الأَحـقاد والأَثـــــآرُ

هبواتٌ طخيــــــاءُ. من دونهــــــــا
النَّــــــار تلظَّى وجاحم سعَّـــــار

حسبــــوا أنهــــم طواغ، بأَيديهم
مـــــن النصل، مرهف بتَّـــــار

قصـــدوا يثـــرب النبّــــي فلجّـــوا
وعليـــــهم، مـــن الحـديـد، دثَـارُ

حـــاصَرُوهَـــا، وما استطـاعوا قتـــالاً
ثم ولَّـــوْا، وســـــاء، ســـاءَ العارُ

صـدهـم فكـر عبقــــريٌ نبـيغٌ
ودهـــاهــم، من السمـــاء، إعصار

تلك أحــزابهــم. شتــات على البـيد،
تـــنَـــأى، بَـــرَكْضِهم، أغـــوارُ

لن يعودوا. فمالهم آخر الدهر
لقاء بيثربٍ، أو حصَارُ
لن يعودوا تقدستْ آية الله
وللفكر عزة. وانتصار

* * *

يا زعيم الأَحرار، يا صرخة الحق
وفكر مناضل قهّارُ
ذكريات من البطولة. هل معناك
الا بطولة، وفخارُ
ذكريات أصوغها لمحيّاك
تحايا تزفُّها الأَشعارُ
ولسان على الولاء صدوق
وفؤاد له الحبيب، شعارُ

احمد المختار الوزير

ومن عظمة الثورة...

بقلم : البشير الزريبي

اذا كانت عظمة الثورة الجزائرية ـ فيما يتبادر الى الذهن ـ متمثلة في جملة ما اتصف به رجالاتها من شجاعة نادرة وروح معنوية عالية فان عظمتها عند الامعان والتروى لتبدو فى ديمومتها الزمنية المعبرة تعبيرا ليس فيه لبس عن اصالة قوميتها ومثالية اهدافها ومراميها التى نادت وتنادى بها هذه الاجيال الجزائرية المتعاقبة ، وهكذا لا تعتبر ثورة الجزائر اعظم ثورة عربية عرفها التاريخ القديم والحديث نظرا للتضحيات الجسام ومواقف الاستبسال المشرف فقط بل هى كذلك لانها من جهة : تمخضت عن **تعاطف الاجيال الصاعدة** بتمكينها للاحداث البطولية الدامية حتى تصبح مدرسة وطنية تنصهر فى جوانها نفوس الشباب الجزائرى فيتهيأ بالتالى للاضطلاع بالرسالة التى حتمتها عليه آفاقه الفكرية والبيئية والتى سقط من اجلها ابوه أو اخوه فى النسب او الموطن . وهى ايضا ثورة عربية لا نظير لها فى عديد من الاعتبارات لكونها مكنت لنفسها فى دنيا الناس الى ان اضحت الشغل الشاغل للفكر البشرى والصراع المبلبل للفكر العربى ؛ فى آفاق احداثها وتطوراتها دنيا عارمة من الانفعالات والاحاسيس السامية تقوم بها تيار ادبى حديث اصطبغ بطابعها الخاص بحيث عد لها كمرآة تنعكس عليها أضاحيها وأمسياتها ، اضواؤها وافياؤها .

وحينئذ هذه الثورة الجزائرية نعدها عظيمة عظمة ذات وجهين الاول منهما: انها تطورت فى ذاتها ولذاتها تطورا قلما توفر لغيرها من ثورات العالم باسره الامر الذى تحولت معه المواقع الحربية والعمليات العسكرية الى معهد دراسى يعد به اليافع والشاب الجزائرى لحمل لواء القومية يوم النداء وابان ينادى داعى الوطن قائلا : الستم من اولئك الذين قال اسلافهم اذا مات منا سيد قام سيد ؟؟ !! وثانيهما ان هذه الثورة المباركة مازها عن غيرها وانفردت بآثارها الحالية ووقعها العاجل فى نفوس سكان المعمورة قاطبة كما انفردت وستنفرد ايضا بآثارها ووقعها المتبقى فيما بعد كتركة معنوية تنزل على الاجيال المقبلة او كرصيد ادبى هائل من جوهره تستمد الى الأبد مواضيع الادب والفكر وتستخرج من معدنه خرائد الفن وآيات الخلود .

ففى هذه السنوات التى واكبت الانتفاضة الجـزائرية عجت دنيا الصحف والمجلات وعوالم الاذاعة والشاشة وحتى اكوان اللحن والفن بمختلف مملياتها وموحياتها : منقصائد رائعة وقصص اخاذة فكم نغم ترنم ببطولة جميلة بوحيرد وكم قصيد تاه وانتخى فى وصف الاطلس الاشم وكم قصة وكم رواية وكـم نفحة من نفحات الخيال والوجدان اوحتها احداث هذه الثورة ومواقعها الخالدة فى صفحات الضمير الانسانى بله الضمير العربى الحى • وان الذى يؤرخ للادب العربى لا اخاله غافلا عن هذا الملحظ فيما سيكتبه عن تيار هذا الادب بالشمال الافريقى وحتى بكامل انحاء دنيا العرب فى هذه الفترة التى تخللتها الثورة الجزائرية بعيد النصف الثانى من القرن العشرين•فما من شك ان ادباء العرب عموما وادباء هذا الشمال الافريقى جرفهم السياق الثـورى بربوعهم وحملتهم الاحداث القومية والاتجاه الوطنى الدامى على ان يلونوا ادبهم ونتاجهم بما من شأنه ان يتجاوبونزعات مجتمعاتهم المحيطة بهـم والتى ومنهـا وبها يحيون وينتجون • ولهذا فلا غـرو ان امتزجت خـرائدهم ونفائسهم الفنية بمشاعر القـوم وانتحلت بنحلتهم وانفعلت بانفعالاتهم الهـوج كما جاء ذلك واضحا فيما حبروه من وصف فنى ، وما دبجوه من شعر خالد ، وما ابدعوه من فـن رائـع •

ومن هنا لم يكن الغنم السياسى لثورة الجزائر المجاهدة هو الذى يشغـل بال انصارهاواحبائهادونغيره بل انغنائمهذه الحركةالثوريةعديدة ومتنوعة:منها العاجل ومنها الآجل ، منها الواضح البين ، ومنها الخفى المستتر وكلها مقصودة باديء ذى بدء من قبل قادتها ومدبرى شؤونها ذلك ان النهوض بالامم لـم يتم فى العناية بها من ناحية دون سواها من بقية المناحى الحيوية لسير الشعوب وتقدمها بل فى الاقبال على جميع ما من شأنه ان يرفع رأس المواطن عاليا فى شيء من الاعتزاز والاعتداد • وللادباء العرب ان يعتزوا ما شاء لهم الاعتزاز بهذا الغنم الادبى المتولد عن حركة الجزائر الثائرة باعتباره مصدر اعتزاز وفخر ولكونه منبع وحى والهام لا ينفد ولا يفنى •

البشير الزديبى

حاملـــــو اللعب

بقلـم : جعفر ماجد

من وحى استجواب Afrique-Action لصغار اللاجئين
الجزائريين بالمرسى (جوان 1961)

« لا تكتمى جزعـا . . ان الحقـول شذى
والصبح تـرقص فـى الآفـاق رعشتـه
لا تجـزعى ! فلنـا فى الظـل مضطجـع
لا تـرهـقـى عصبـى مـــالى ارى ألمـا
قـالت لـه وبكت : « قـد جاءنا حرس
واخـرجـونـى الى مستـأذب شـرس
فهـزنـى بـاسمـا واختـار لى لعبـا
وقـال لى : يـا ابنتى هـل تعلمين بهم ؟
هـل بيتهم جبـل ام هـل أتـوا أحدا
فقلت : من ؟ فـدوى مستنكرا حنقـا :
فـاحتـرت فى فكـر ضجت بهـا ريب
بى الـوحش القى كمـا تلقى يـد حجرا
وقيـــدونـى عـلى أخشابهـم ورمـو
فاستنطقت يـده الجـرح الـذى نبعت
فـاجتـاحـه ألـم كـالهـول مكتسـح
واربـد حـولهمـا فى لحـظـة افـق
وابـرقت شـعـل مـن خلفهـا شعـل
حـين انحنـى شبـح ممــدودة يــده
سترجعـن كمـا لـو لـم يكـن لهـم
فاستصرخت فزعا : من ؟ قال مبتدرا :
ونشـــوة رتعـت فـى اخضـر عشـب
والجـــو مبتسـم والطـير فـى طـرب
نـأوى اليـه متـى ارهقت فـى اللعـب
مستصرخا فيه معنى الثار والغضب ؟ »
فعـذبـوا جـدتـى ثـم اختفـوا بـأبى
يـمـشـى الى بلطـف بـالـغ الادب
كـثيرة ودمـى بـراقـة الـذهـب
ـ ومـا اردت أبـا يـا رب غير ابى ! ـ
فى حيكـم ؟ لـك كل الحظ فى اللعب !
من يذبحون (كذا (1)) من غير ما سبب
لكن : لا ! قصفت فى مسمـع الـريب
او تنتهـى كـرة نحـو المـدى الـرحب
نى بالحديد كما لو كنت من خشب . . »
اوجاعـه غصصـا فى صدرهـا التـرب
يجـرى بـه نهمـا كالنـار فـى الحطب
دوت بـه حمـم مجنـونـة الصخـب
فى غـارة مـن دخـان حـالك السحب
يـدعوهمـا : اسرعـا فالخير فى الهرب
فى ارضنـا أثـر ، فى مغـرب العـرب
من يـذبحون (كذا) اى حـاملو اللعب !

جعفر مـاجد

---

(1) كذا : Comme ça !

الشعر ومعركة الجزائر

بقلم : محمد الحليوى

عندما تضع حرب الجزائر اوزارها ـ ولا بد ان تضعها يوما ـ وعندما ينعم الجزائريون باستقلال بلادهم الذى كافحوا من أجله اروع الكفاح وأسناه سوف يشتغل ادباؤهم ـ فى جملة ما سيشتغلون به ـ باحصاء وفحص ما قيل من الشعر والنثر ، وما كتب من القصص والروايات مستوحى من ثورتهم الخالدة فى ادب الامم المعاصرة من شرقية وغربية ـ ذلك ان قضية الجزائر أصبحت من اشهر قضايا العصر واصبح لها من الصدى والتأثير ـ سواء عند الأمم المغلوبة على امرها او الامم المسيطرة عليها ـ ما غير وجه هذا القرن وطبعه بطابع القسوة والمرارة والاستماتة منجانب الاقوياء أو بطابع التضحية والبسالة والايمان من جانب الضعفاء

هذا الصراع الهائل بين قوتين غير متكافئتين قوة البطش والجبروت المسلحة بالحديد والنار وسياط الجلادين وقوة الحق والبر والعزيمة المسلحة بالايمان ، قد اوحى للكتاب والشعراء آثارا أدبية متعددة الجوانب ، متنوعة الاغراض مختلفة القيمة ولكنها كانت كلها تمجد هذا الكفاح الباسل ، وتروى احداثه ومشاهده وتسبغ عليه روعة الفن وحرارة العاطفة وجمال الكلمة المنظومة وان كانت أحداث هذه الحرب ومشاهدها وأهوالها قد فاقت فى واقعيتها وحقيقة أمرها كل ما يمكن ان يصفه الواصفون او يتخيله المتخيلون ٠

والادب التونسى المعاصر لم يقصر فى هاته الناحية ولا هو ظل صامتا أمام هذا العسف والارهاق الذى سلط على الجزائر العربية المسلمة ، جارتنا الحبيبة المستميتة فى الدفاع عن كرامتها فى الحياة ، والمنكوبة بأشنع استعمار عرفه التاريخ وبأشده قسوة وبطشا وعتوا ٠

ان العاطفة الانسانية التى يشعر بها كل من مر بمثل ما تمر بـه الجزائر اليوم من اطوار الكفاح وعرف ما تنطوى عليه هاته الاطوار من آلام ودموع ودماء مسفوحة لهى عاطفة مثيرة مهيجة فاذا أضفت الى هاته العاطفة الانسانية ما يربطنا بالجزائر من روابط الجوار والاخوة ووحدة الآمال والالام أصبح من الطبيعى ان نلمح فى شعر شعرائنا هذا الحماس وهذه الغضبة الصادقة لقضية الجزائر ، بل انك تحس من خلال هذا الشعر ان قائله يجعل منه قضية قومية

لا يفرق فيها بين معركة تونس ومعركة الجزائر ، لانها معركة الاهداف الواحدة والمصير الواحد .

وقد اتفق شعراؤنا المحافظون والمجددون على السواء على تبنى القضية الجزائرية كما تبناها زعماؤنا فى ميدان السياسة فدافعوا عنها وتحمسوا لها ورثوا شهداءها ومجدوا أبطالها وقادتها وذلك منذ بدء المعركة ـ فاننا نجد الشاعر مصطفى الحبيب بحرى منذ سنة 1956 يتحدث فى قصيدة « غدا ملتقانا » عن معركة الجزائر ويعدد على لسان احد ابطالها الاسباب التى أهابت بكل فدائى لخوض المعركة

ونادى الفدائى : مجد الجدود
وعسف الطغاة وغل القيود
ووثبة قومى لبعث جديد
تنادى دمائى لفجر الخلود
وذا موطنى من دمى ينهل
لينساب فى مهده الجدول
ويخضر فى سهله السنبل

وفى هذا القصيد يحدثنا الشاعر عن ذلك الفدائى الذى يستمد العزم والشجاعة من روح حبيبته سلمى الشهيدة التى تشق غبار المعركة وتجيئة فى صورة ملاك وكأنها على موعد معه للقاء الاعداء :

فياروح سلمى لقانا غدا ... على جبل النور مهد الفدا
لنصلى الطغاة لظى موقدا ... ونرفع للمجد صرح الهدى
أراك ملاكا يشق الغبارا ... ليذكى بصدرى حقدا ونارا
اراك وقد هزك الموعد ... ومن راحتيك يضىء الغد
فاهتز شوقا لأحمى الديارا ... وأبذل روحى لسحق العدا (1)

ونجد كذلك قصيدا لمحمد العربى صمادح نشر فى نفس السنة بعنوان « الاعدام الجماعى » يصف فيه غارة من هاته الغارات المألوفة للجيش على الاحياء الآهلة بالنساء والاطفال والشيوخ العجز، لقد جاؤوا يبحثون عن الرجال والسلاح ولما لم يجدوا شيئا منهما عاثوا فى الحى قتلا ونهبا واحراقا ومضوا وبجيوبهم « بعض الحطام »

(1) الندوة السنة 4 العدد 7 (اكتوبر 1956) ص 7

وهاك الابيات التى يصف فيها مجىء الجيش للحى ٠

صاحت خديجة من بعيد — عاد الجنود
كالامس عادوا يطلقون — نار البنادق فى جنون
محمود ، يا ولدى الحبيب — اسرع الى الحى القريب
عاد الجنود المعتدون — كالامس عادوا يركضون
أسرع وأخوتك الصغار — جاء الدمار ٠٠٠

وهاك ما يقوله عن احراق الحى من طرف الطغمة المغيرين :

والجند فى نزواتهم يتسابقون
مثل الذئاب ٠٠ فينهبون ويعصفون
وعلى الجسوم يرددون ٠٠ أين الهرب ؟
نادوا ابن بلة ينجكم ٠٠٠٠ نادوا العرب
اليوم نحرق أرضكم يا مجرمون
اليوم نتركُكم رمادا اجمعين
سكبوا الوقود على المنازل من قصب ٠٠ فاذا اللهب
يأتى على الدنيا ويلتهم العباد
ومزارع القمح الفسيحة والبهائم والعتاد
والصخر والاشجار والعشب المزركش والقتاد (2)

ولأحمد اللغمانى قصيدة بعنوان « فى يوم الجزائر » استنزل فيها اللعنات الشداد على الاستعمار والمستعمرين بعبارات لا يجمجم فيها ولا يدارى ختمها بهذه الابيات المتفائلة ٠

مهلا ٠٠٠ لقد أزف الوعيد
المغرب الجبار حطم بينه تلك الحدود
بعث جديد ٠٠ ينمو بظل الاطلس الشهم العتيد
النار لا تأتى عليه ولا الحديد
ولسوف تعلم يا بليد
ان الجزائر معقل البأس الشديد
غيل الاسود ٠٠ لن تستكين ولن تبيد (3)

(2) الندوة السنة 4 العدد 5 (ماى 1956)

(3) الفكر السنة الثانية ص 270

ومما امتازت به معركة التحرير بالجزائر مشاركة المرأة الجزائرية فى الكفاح مشاركة فعالة وقد تحدث محمد العروسى المطوى فى قصيد من الشعر الحر بعنوان « خذنى معك » عن مجاهد جزائرى تسلل ذات ليلة واخترق حصار القوى الاستعمارية ومكث يومين لا ليستجم وانما لينفذ خطة معينة ولما استعد للرجوع الى « أوراس » تعلقت به اخته وقالت :

خـذنى معـــك ٠ ٠ انـى ظمئت الى الجهـــاد
ومللت عيش القابعـة ، عيش المذلة والهـوان
والبؤس دوما موصد ٠٠ والرعب يكمن فى البيوت
دومـا يهددنا العـدو ٠٠ لكنـه عنكـم بعيـد
« أوراس » يدعونا اليه٠٠يدعو الفتاة الى الكفاح
جنبــا لجنب الثــائــريـن
خـذنى معـك ٠٠ وارحـم دمـائى الثـائـرة
فلقد عزمت على الجهاد٠جنبى لجنب الثائرين (4)

ولهذا الشاعر قطعة أخرى تحدث فيها عن فتاة جزائرية استطاعت ان تثأر لشرفها المدنس من الملازم « انطوان » حيث تمكنت من ان تستل الخنجر من حزامه وتبعج به بطنه ثم تغمده مرة اخرى فى قلبه وتودع كوخها الحطيم وتسير نحو الجبل ٠ ويصل الخبر الى رفاق « انطوان » فيأتـون للانتقام ويصوبـون مدافعهم وقنابلهم نحو الشيوخ المقعدين والنساء العاجزات والصبية الاطهـار والاغنام البريئة وينسحب الرفاق بعد هاته الجولة صائحين ٠٠ ثم مطمئنا ٠٠ يا انطوان ٠٠ فقد ثأرنا لك بخمسين (5)

ولكن هاته القطعة رغم طرافة موضوعها لم تكن على جانب من الفن او الجمال فأهملنا ايراد مقتطفات منها طلبا للاختصار ٠

اما احمد مختار الوزير فقد نظم قصيدا مطولا عن البطلة الجزائرية جميلة بوحيرد استعرض فيه خواطر هاته الفتاة وآلام نفسها امام ما ينال قومها من نكال وتعذيب وما يعانونه من بؤس وفـاقة وكيف كانت تسمع من داخـل نفسها صوتا يهيب بها :

---

(4) الفكر السنة الثانية ص 195

(5) الفكر السنة 4 ص 118

جميلة أنت الوجود بما　　تريدين مختارة راضية
وانت الحياة وأكوانها　　بما فيك من عزمة ماضية
فكوني لقومك كوني لهم　　من الحب آيته العالية

وكانت اذا أغفت ترى فى احلامها صورا من بؤس قومها مهولة : من جماجم مبعثرة فى الثرى ، وقتلى مجندلين بالجبال ودماء جارية ٠٠ وتتذكر حماسهم وايمانهم وغايتهم فتأسى وأخيرا تنهض وكأنها بعثت للهدى داعية ، ثم تسير بين الشعاب الى صخرة « الاطلس » وتقاوم وتكابد وتنفذ ما يعهد به اليها من الخطط الى ان يدركها رجال ذوو قلوب جافية من جواسيس الاعداء فيحيطون بها كالسباع الضارية وها هى ذى فى السجن وبين ايدى الجلادين ٠٠٠

وعذبها القيد قيد الحديد　　فكانت معذبة راضية
عنيف من الشر لاذوا به　　لتحطيم عزمتها الماضية
فما خدشوا كبرياء الصمود　　ولا فلقوا الصخرة الراسية
وهيهات هيهات ان يفعلوا　　وفى قلبها القوة العالية
وهل تقهر اللبوءات الحراب　　بأيد مرعشة واهية ؟
وقامت جميلة من دونهم　　قيام المدججة الحامية
تريهم سخافة ما يفعلون　　ببسمتها العذبة الزارية (6)

ونحب ان ننبه هنا الى اننا لم نورد من الشعر الا ماكان موضوعه كله فى معركةالجزائر اما ما جاء من الشعر فى مناسبات مختلفة او فى اثناء قصائد ذات موضوعات عامة فاننا لم نتعرض له طلبا للاختصار ولنفس هذا السبب نشير الى القصائد التالية التى قيلت فى معركة الجزائر ويضيق المقام دون ايراد مختارات منها ٠

من ذلك قصيد مطول لمصطفى الحبيب بحرى نشر على حدة بعنوان « أوراس » (7) وقصيد لأحمد اللغمانى بعنوان « سبتمبر » حيا فيه ذكرى الثورة الجزائرية (8) وقصيد لمحسن بن حميدة بعنوان « فى غير لين » الى الضحايا

(6) ديوانه ص 66
(7) منشورات البعث
(8) الفكر السنة 2 ص 175

الجزائر البريئة (9) وقصيد لابن تـومرت بعنوان « من وحى الثـورة » (10) وقصيد لمنور صمادح بعنوان « قسم تـونس » (11) وقصيد لصالح الخـرفى بعنوان الجزائر المكافحة (12) واخيرا قصيد لاحمد مختار الوزير بعنوان « رثاء شهيد » يرثى فيه احد ابطال الثورة الجزائرية (12 مكرر)

ويمكن القول بوجه عام ان ما نظمه شعراؤنا التونسيون سواء منهم المجددون او المحافظون لا يبلغ فى مجموعه القـوة والعمق والجمال الذى نـلاحظه عند شعراء الشرق الذين قرأنا لهم أشعارا فى هذا الغرض وعلى سبيل المثال نورد الابيات الاخيرة من قصيد للشاعر السورى شوقى بغدادى بعنوان « جزائرية » شبه فيه الجزائر بجذع زيتونة صامدة فى وجه الحطاب وان ما يقطع منها يكفى لان يصنع منه نعوش الحطابين حتى اذا نبتت الجذور الجديدة كانت جذورا ذات قوة وصلابة وبأس شديد يقول :

جـزائرى ٠٠ يا جذع زيتونة ٠٠ صامدة فى وجـه حطاب
لـن يقطعـوا الا تـوابيتهـم ٠٠ فليهنأوا بسقط أخشاب
انى أرى الجذور تنشق عن٠٠غور٠٠وعن ظفر٠٠وعن ناب

(9) الفكر السنة 2 ص 88
(10) الفكر السنة 3 ص 234
(11) الفكـر السنة 3 ص 233
(12) الندوة السنة 4 العدد 7 (اكتوبر 1956)
(12 مكرر) الفكر السنة 4 ص 814

اخـــــي وجـــــاري

بقلم الدكتور علي شلق

قل لداعي انهمزنا جهة الغرب اجبنا عما افاد « الحليف »
ركنه شاحب الملامح ينهار على الرمل والزمان خريف

شاخ في ذاته دم الفتك فاحذر منه قربا فالليث ان شاخ غادر
أترى عطفه عليك فهذي بنت صهيون منه احدى المآثر

اذ تراهم يسلسلون السبايا وذرانا الشماء دلت علينا
وانمحى رونق الظلال فلا الطير نشاوى ولا السفوح روينا

واذا ما دعيت،هاك رحب ضلوعي فاتكيء انت بين اخت وأم
تتهادى اليك من لافح الرمل عطاش على ظلالك تنمي

هم بنو عزة ونصرة جار لن ترى مثلهم على الدهر اهلا
هم اولى بهف قلبك حبا وهم ان تذق امرا واحلى

يا اخي يا اخي فدتك جروحي كن كما شئت انما عش لذاتك
كيف تهفو الى الغريب وتنسى دون ذنب اليك هف لذاتك

نحن عشنا معا فهاك ضميري جس خلال الرحاب تلق صداكا
وتعال اعتناق روح لروح نقطع الدرب ألفة واشتباكا

واقم للصباح بين جفوني الف صرح وهيكل للعباده
تتناجى الاجراس فيها مع الله صلاة موهوبة وسعاده

يتلاقى رنينها بأذان صاعد في تالف وعناق
وقباب تهفو للقيا قباب ضربت موعدا لدى الخلاق

قم بنا كادت النجوم توارى نسبق الفجر للذرى المستفيقه
نحمل الكون في جوانحنا السمر صلاة ملء المدى وحقيقه

الدكتور **علي شلق**

الوحدة الافريقية بين تونس والجزائر

بقلم : زين العابدين السنوسى

الـوحدة : عندما نتحدث عن الاخـوة التى تربط **تـونس بالجـزائر** ربما يشعر الكثير منا بجيشان عواطف عارمة تغالبه للخروج الى ميدان الحماس فى مثل هاته الظروف التاريخية ... وهى احاسيس تفـوق عـواطف الاخوة والتعاطف بين الاشقاء وتلتحم التحاما قويا مع العواطف الوطنيـة الصميمـة فى عرامة مجدها عند ما يحس الفرد باللحمة الاجتماعية التى تدمج مصالحه فى المجتمع الوطنى ... خصوصا فى ساعات الخطر عن المصلحة العامة التى تتحكم فى كيان الانسان وتقدر حاله ومستقبله

وفى الحقيقة فان الـروابط التى بيننا (تونس والجـزائر) اعمق بكثير من روابط الاخـوة الانسانية ورابطة الجوار وهى اقوى واعمق من رابطة التناصر التى يدركها من خرج من ضيم كان يحيق به ثم هو قد رأى غيره **يتخبط للخلاص** من ذلك الداء الذى عانى هوله وانتصر عليه

انما **تونس والجزائر** « اعضاء جسم واحد اذا مـرض عضو منها تداعى لـه سائر الاعضاء بالسهر والحمى »

تكامل جغرافى : فنحن **وحـدة** قد ولدها عنصر طبيعى اصيل **هو وحـدة الارض وتكاملها ، تلك الوحدة الجغرافية** المتباعضة، بساحلها الممتد على البحر المتوسط ثم المتعالية الى هضاب الاطلس وشوامخه والمتكاملة بخصوبة شريط ثالث من السهول الرحيبة الكريمة باطعمتها الوفيرة المحضونة بسلسلة ثانية من الجبال التى تحتمى فيها الشوارد والمعتصمات ... حتى تذوب فى الصحراء الوسيعة التى تكمل العمران بواحاتها المتباعدة حيث تجد الاجيال اللاجئة مأواها البعيد عن التيار الكبير المنعزل ، فى امن وشبع وهناء

الوحـدة الشعبيـة : فهذا التكامل الجغرافى فى اشرطته المتباعضة الممتدة قد كان يعمم وحدة الشعب ويعمم توزيع الشعوب المهاجرة ويحل من وحدتها ليصنفها فى طبائعه الاربع (الساحـلى والجبلى والسهولى والصحراوى) حتى تنطبخ فى مناخاته وتتباعض كل عائلة من عائلاتها فى الوسط الذى يلائمها وتمتزج به وتتوحد مع اهله فى هذا الشمال الافريقى الذى يحتاج فيه كل شريط منه لصاحبه ولن ينقطع عن التبادل . وهكذا تفقد تلك الجاليات وحدتها لتندمج فيه سواء كانت آتية من ارض الحبشة والنيل من الشرق او هى قد اتت

من شنقيط (موريطانيا) والمغرب الاقصى على سواحل الاطلس الكبير او جائية على امواج البحر فى اعصر اخضاع الانسان للماء والريح فسهل على الشعوب التنقل بمختلف دوافع الهجرة من الغزو والبطر الى الخوف والفرار من مصائب الطبيعة وتذاؤب الحضارات والشعوب التى اكتسحت ارضها فجاءنا المهاجرون من فينيقيا وبلاد الشام وفلسطين وجاؤونا من ارض الروم والرومان وجاؤونا من بلاد الحجاز باجيـال من عبيدهم وانصارهم الفارسيين ومن مصر وارض خوارزم ومن الترك ٠٠٠ وقـد انتهى جميعهم الى التأقلم والتكيف على روح هذا الاقليم فاصبحوا هذا العنصر الافريقى الذى يؤلف وحـدة كاملة وامـة واحدة بما استخلصته واستصفته من مختلف الادوار التاريخيـة **والحضارات** المتـرادفـة

وقد خلد لنا عصر الكتابة والتدوين ان هذا العنصر الافريقى المتكامل قد اطلق عليه المكتسحون الرومانيون اسم الجنس **البربرى** ثم دمجه العرب فى وحدتهم الكبرى بعد ان محا ظل الغطرسة الرومانية فسواهـم مع العنـاصر التى صحبها فى جلالة الدين الاسلامى الذى وحد النظام الاجتماعى والنظام القضائى وفرض اللسان العربى ثم كف كل غطرسة او ادعاء تفاخر بالانساب والعنصرية

فاصبحت **افريقية** فى هيئة وحدة اسلامية واصبح لسانها العـام انما هو اللسان العربى وان استبقت بعض الواحات ومستعصمات القبائل السنتها المحلية فى مثل **مطماطه ومزاب** ٠ ولكن كل انسان فيها قد تعلم العربية واصبح ذا لسانين والعربية هى لسان التعامل السائد عليه بحيث تمت الوحدة **اللغوية** والاجتماعية والتشريعية فى جميع اركانه

وهكذا استقرت هاته الوحدة فى لونها الجديد واتخذت لها مركزا اصليا من العاصمة التى ابتناها العرب من مدينة **القيروان**

ولم يلبث هذا العنصر الافريقى ان تبلور وركز سلطانه من جديد مستعفيا من توارد الولاة من المشرق وركز حكومته الذاتية بتاسيس **الـدولة الاغلبية**

ثم لم تلبث ان استتمت استقلالها الخارجى فى تاسيسها الدولة **العبيدية**٠٠ ولما احست بانقسام المشرق وتخاذله فى مصر والشام اعتمدت قواها الذاتية وردت الموجة الآتية من الشرق، بان التفتت انظارها لفتح **مصروالشام** ثم اسست مدينة القاهرة على وادى النيل فانتقلت اليها بقوى القبائل الافريقية من **كتامة وزويله** ٠٠٠ وطمعت ـ بالفعل ـ فى ان تغزو المشرق فى امبراطوريته الرومية

والبغدادية التى كانتا قد اكلت من بعضهما وادركهما الوهن وهى قد ابدلت اسمها باسم عربى اسلامى شريف « **الخلافة الفاطمية** » نسبة للسيدة فاطمة الزهراء بنت النبى محمد وزوجة الامام على ، كما استظهروا **بشجارة** نسب عريق فى العروبة والاسلام يتصل بالامام على نفسه وبفاطمة الزهراء ٠

يهمنا هنا ان نعرف ان الخليفة المعز كان قد استقدم من جبال الاطلس زعيما اصيلا فنصبه فى المهدية واختصه بامارة هذا الشطر المتميز بعنصرية افريقية ٠٠ وهكذا انتصبت الدولة الصنهاجية على جميع افريقية ، وهاته الدولة الصنهاجية قد تمكنت من توحيد المغرب العربى من مدينة فاس حتى حدود طرابلس التى كانت ملتحقة بالخلافة الفاطمية ريثما ارجعتها الى الامارة الصنهاجية بالقيروان

تنازع النفوذ بين عواصم افريقية : منذ تسلمت الدولة الصنهاجيـة الحكم 973 م (362 هـ) اصبح امراؤهم مقسمين بين الاقامة فى جبال صنهاجه بمقرهم الاول **اشيرو** الـواقعـة فى دواخـل البـلاد الجـزائـريـة ثـم هـم يصيفون على شواطىء المهدية قرب مدينة **القيروان** التى هى العاصمة الثقافية للعربية والتشريع وهى العاصمة السياسية ايضا ، منذ الفتح الاسلامى ، **كما اختطه العرب** الاولون الذين هربوا بعصمة افريقية من الرواسب **الرومانية** والمخلفات التقليدية للحضارات المتعاقبة على **قرطاجنة** ٠ وبعدوا **بها عن مفاجئات** الشواطىء مشرقين بها مسافة 150 ميلا ، حيث وطدوا اركان الامـن **لحضاراتهم** الجديدة وللتشريع الاسلامى ولتعميم اللغة العربية على جميع هذا **المغرب العربى** الكبير منذ اقحم **عقبه بن نافع** ، مؤسس مدينة القيروان، فدخل بفرسه فى البحر الاطلنطى باقصى شواطىء المغرب، ورفع راسه ملعلعا **«اللهم انى قد بلغت نهاية جهدى، فاشهد»** وذلك سنة نيف وستين من الهجرة: 682م، فردذها الجيش العربى وراءه ، وقد بلغ نهاية العمران ، لعهدهم ٠

وهكذا توطد ملك العرب واتحد المغرب الكبير فى لغته ودينه وتشريعه ٠ ودامت **القيروان** على راس هذا الاتحاد طيلة خمسمائة عام ، لتعود بالنفوذ الى **تونس** قرب قرطاجنة القديمة بعد ان امنت نكست الجهة ، كما نراه

ولنعد لاستقراء التسلسل التاريخى لعواصم هذه الوحدة الافريقية ٠ فان **بلكين بن زيرى بن مناد** اول امراء صنهاجة قد اتجهت همته لتركيز العمران فى هذا المغرب الاوسط ، فبنى واعمر مدنا خلدت بعده ، من اشهرها مدينة **الجزائر** ومدينة **مليانه** ومدينة **المديه** وتوسع فى عمران مقام قبيلة صنهاجة من بلدة **اشيروا** الا ان حوادث تاريخية وعوامل عمرانية كانت توطد اركان الدولة فى الوكنة المتجهة نحو الشرق بحيث كانت **القيروان** تجتذب رجال النبوغ العلمى والفكرى من جميع اطراف افريقية ويتركز النفوذ والثقافة

وفى الدور الصنهاجي هذا نجد مدينة **تونس** قد أصبحت تشغب على القيروان بخريجي جامع الزيتونة وبظهور سياسيين ومشرعين يؤيدون مذهب القيروان ضد الثقافة والتوجيه الشيعي الذى كان مركزا فى المهدية ثم اصبح مفروضا من **القاهرة**

ولم يلبث امراء صنهاجة ان شعروا بوجوب الاستقرار فى المهدية **والقيروان** بحيث دفن الامير باديس اباه ، فى قصره الكبير خارج صبرة من ضواحي القيروان واستقر هو فى الضاحية الاخرى منه فى قصر **سردانيا** الذى كان شيد عند ما انتصر الاسطول الافريقى على هاته الجزيرة العتيـدة فى قلب البحر المتوسط وربما طمعا فى ضمها للمملكة الافريقية نظير جزيرة **صقلية** التى بقيت فى حوزة افريقية اكثر من قرنين ، وكانت لعهد باديس جزءا لا يتجزأ من ملـك الاسلام فى البحر المتوسط بحيث ان مدة تردد امراء صنهاجه بين قاعدة قبيلتهم **أشيرو** وبين القاعدة العربية لعموم افريقية **القيروان** لم تزد عن الـ 23 سنة حيث استقر ثلث امرائهم فى **القيروان** ومع ذلك فان تردد هؤلاء الولاة الصنهاجيين على مقام صنهاجه فى قلب جبال الاطلس طيلة جيل كامل قد غرس فى تلك الجهة ميلا جديدا لتولى الحكم ، وهكذا بدأت الثورات وانتهت لانشقاق **اخوة باديس** وتاسيسهم اول دولة فى هذا المغرب الاوسط فى مدينة **القلعة** جهة **قسنطينة** فهى امارة حماد وباسمه عرفت دولتهم التى تسلسلت فى اعقابه « **دولة بنى حماد** » ومع ذلك فان الوحدة كانت مفروضة على شطرى هاته الامارة **الصنهاجية** فلم يلبثا ان عادا الى التواصل والتصاهر بينما التواصل الاقتصادى والاجتماعى كان لم يمسس كما ان الشعب ـ هنا وهناك ـ كان سليم العلاقات متصلها ..

ثم انتهت الدولة الصنهاجية باتيان **الموحدين** سنة 1160 م، فتوحد المغرب العربى كله لعامها الملقب بسنة الاخماس (555 هـ) وانتصبت الدولة الحفصية فى **تونس** . من يومها الى ساعتنا هاته وما **تونس** الا ضاحية من ضواحي مدينة **قرطاجنة** ولكن الدهر قلب كل شيء حيث اصبحت **قرطاجنة** اليوم ضاحية من ضواحي **تونس**

وقد سار التاريخ بتقلباته الى ان جاء الدور التركى . فهو الذى اختط هذا التقسيم الذى يجعل مدينة الجزائر عاصمة لولايات افريقية الاربع ، حسب تقسيمها الادارى لافريقية هاته فاقامت « الداى » هناك وجعلت نوابه فى مباشرة كـل طـرف من رتبة « بـاى » ونلاحظ انها قد ابتعدت بالعاصمة الافريقية **تونس** مثلما ابتعد العرب بقاعدتهم القيروان عـن قرطاجنة تجافيـا لرواسب الماضى ونزعة الاستقلال المتخلدة فى تلك البيئة والمركز المتوارث ...

ولكن المركز الاستقلالى فى **تونس** لم يلبث ان اعطى الى الباى من الحكم الذاتى والنظام المتوارث ما لم يكن لكبيره « **الداى** »

وحدة فى السراء والضراء : ثم كان الاحتلال الفرنسى للجزائر سنة 1830 فشعرت **تونس** بالخطر الذى يتهددها فان هاته الوحدة المغربية الافريقية « كل » لا يمكن ان يمس طرفا منها خير أو هوان الا وانزرع فى جميع اطرافها وبالفعل فقد حاولت كل شىء لكى تبعد الخطر الافرنسى ولكن التيار الاستعمارى قد كان جرفا ، ولم يمكننا الا ان نشارك اخواننا فى ضرائهم سنة 1881 ثم عمت البلية سنة 1912 شقيقتنا **المغرب** ٠

واخيرا ثارت **تونس** ثورتها الماجدة سنة 1952 ولحقت بنا ثورة **المغرب** ثم تمت الحلقة باعلان ثورة **الجزائر** 1 نوفمبر 1954 وكانت الغطرسة الاستعمارية تتحطم لعامها فى (**ديان بيان فو**) فى اقصى الشرق بالهند الصينية من الاستعمار الفرنسى

وهكذا تمكنت **تونس** من اعلان استقلالها بالحكم الذاتى 3 جوان 1955 حتى شفع بالاستقلال التام ، ثم تلتها **المغرب** فاعلن استقلالها بالفعل

وهانحن اليوم نتوقع انقشاع ظل هذا الاستعمار عن مركز انطلاقه من اختنا **الجزائر**٠ولن يهنأ لافريقيا بال ما دام لهذا الاستعمار ظل فى الوجود٠وبانقشاعه سيشعر الجسم كله بالسلامة والصحة التى ستمكننا من التفرغ لمشاركة العالم الناهض فى موكب الحضارة المتساندة ليسير بالانسانية لحياة شريفة هنية ٠

زين العابدين السنوسى

محـــــو العــــــار

قصة بقلم : الطاهر وطـار

جلس الشاب الاسمر النحيف الذى يشع من عينيه العسليتين ذلك الذكاء الفطرى الذى لا تخلو منه عينا اى واحد من ابناء الصحراء •

كانت العجوز الفرنسية هى التى دعته الى هذا الاجتماع المضيق ، الذى لم يكن بلغريب عنه حتى يشغل نفسه كثيرا بالتفكير فيه ، والحـق انه تعـود امثاله منذ صباه ، فما من مرة ارتكب مخالفة فى المدرسة او خارجها الا ودعته لمثل اجتماع اليوم وانبته وعنفته ، وما من مرة وقعت فى مشكل من مشاكلها المتعددة المتنوعة ، الا ووقع استدعاؤه لمثل هذا الاجتماع ، للتامل معه بحثا عن الحل لمشكلها ، وبكل صراحة ليقدم لها الحل ، فقد كانت بدورها تثق الثقـة العمياء فى ذكـائه •

ولما فـرغت العجوز من سقى الازهـار والورود ، القت بشىء من الحب الى الدجاج ، ثـم رمقت الارانب بنظرة قصيرة لا تخلو من قلق ملحوظ ، اقبلت نحوه وعلى مقعـد وثير استوت ، ثم تـأملت كعادتها فى عينيه العسليتين ولم تخف اعجابها بجمالهما منذ كان غرا غريرا لا يفقه من امور الحياة شيئا ، فلم يجد الشاب بدا من ان يبادلهـا شبه ابتسامة فانفرجت شفتـاه القرمزيتان لتنكشف اسنانه الناصعة البياض

وبصوت خافت شيئا ما قالت العجوز :

ـ اصغ الى جيدا بلخير ، انا امك ، مثل امك ، الم تترب فى احضانى ؟ لقد اشرفت على تعليمك ثلاث سنوات كاملة ، ولو لم تكن تفر من المدرسة ، ولو لم يتوف المرحوم زوجى ، لواصلت تعليمك الى النهاية ، ومنذ انقطعت عن الذهاب الى المدرسة ، جعلتك ساعدى الايمن فى القيام بكل الشؤون خاصة فى تسيير النزل ، ورغـم اعتنائى بتربيتك تـربية حسنة ، فاننى لا انكـر عليك ان مجهوداتى تعتبر ذهبت ادراج الرياح ، والحق انه لا يليق بك الا ان تربى فى الجيش الفرنسى ، فالعسكرية وحدهـا هى الكفيلة بتربية من لـم يترب فى مدرسة الحياة •• هوه ، اننى لا اعنى بكلامى هذا ، انه ينبغى ان تحمل حقيبتك وتقصد من توك المركز للتجنيد ، كـلا ، كـلا انتظر حتى اموت او اذهب الى

فرنسا نهائيا ؟ حسنا ، غرف النزل العشرون اعتقد انها نظيفة ، مرتبة ، اليس كذلك ؟ لقد طلبتك لتعاونني على حل مشكل جد عويص ...

اعتدل الشاب فى جلسته ، حين انتهت العجوز من درسها المالوف ، ودخلت الى صلب الموضوع الذى من اجلـه عقدت بـه هذا الاجتماع ، ثم طـرح عليها السوءال التقليدى :

ــ اى مشكل تعنين ؟ ؟

ــ مشكل الارانب ، انها ما تنفك تموت منذ جلبتها الواحد اثر الآخـر ، لست ادرى لماذا ؟ فالشروط الضرورية متوفرة ، الاعشاب والخضر احرص دائما عـلى ان تكون جديدة ، والصناديق تنظفها امك كـل صباح ؟ ؟ ابتسم بلخير ابتسامة عذبة ، ثم فرك يديه ، وسالها :

ــ اين وضعت الصناديق ؟ ؟

ــ لـماذا ؟ ؟

ــ فقط اريد ان اعرف ما اذا كانت الارانب تتمتع بالهواء الكافى ، املا ؟ قهقهت العجوز كالطفل الصغير مكشرة عن انيابها ، ثم قالت جذلى :

ــ كم انت ذكى ، فطن ، ايها الشاب اللطيف ، لم يدر بخلدى قط ان افكر فى هذه المسالة ، لقد نبهتنى اليها الآن فقط .. يالك من ذكى .. ان الصناديق فى المخزن الكبير الذى بجانب المطبخ .

ــ اذن فالهـواء ، هو الذى ينقص ارانبك جـربى فـاخرجى الصناديق الى الحديقة ، فيقين ان الهواء النقى هو الدواء الناجع لارانبك ...

ــ شكرا ، شكرا ، بلخير ، ساجرب كما قلت ، ان آرائك دائما صائبـة ، وحلولك ناجعـة .

* * *

عاد بلخير الى النزل الذى لا يبعد عن مسكن العجوز الا ببعض امتار ، فالقى نظرة على لوحة المفاتيح ، كان النزل قـد غادروا بيوتهم كلهم الا الجنديين ، لا شك انهما استيقظا وهما على اهبة الخروج ، فالساعة الآن التاسعة .. خفق قلب بلخير حين تـذكر الجندية ، ورنت فى اذنيه كلمات العجوز العقيم التى سمعها منها للمرة الاولى : العسكرية وحدها هى الكفيلة بتربية من لم يترب فى مدرسة الحياة ...

وراح يتساءل : العسكرية ؟ اى نعم العسكرية ؟ لا جدوى من التفكير فى التربية، فالعجوز دائما تهذى بانها بذلت ما فىوسعها لتربيتي، لكنالعسكرية؟ ما هى العسكرية ؟ وما هى حياة العسكرى ؟ يقين انها ليست مجرد لباس جميل يستهوى الافئدة فحسب ، انها شيء آخر ، فما هو هذا الشيء يا ترى ؟ ؟

آه لم لا اتحدث مع هذين الجنديين في الموضوع ؟ حسنا ليكن ذلك ..

انتهى الشاب الى هذا القرار ، ثم صعد الى الطابق العلوى ، وفى الغرفة المجاورة لغرفتى الجنديين استلقى على السرير ، ثم اطلق العنان لافكار لا عهد له بها ، تنسكب فى راسه انسكاب الماء فى جدول من جداول واحات (الجلفة) الغناء . استعاد شريط حياته منذ كان صغيرا الى تلك اللحظة التى قالت له فيها العجوز هذا الكلام الذى يستوجب اعادة النظر فى كل الاسس التى تقوم عليها حياته ، ولكن هل هناك اسس تقوم عليها حياته ؟.. مات ابى وانا فى المهد ، فلم تجد امى وسيلة تضمان قوتنا غير العمل عند العائلة الفرنسية هذه ، مقابل اكلة فى الصباح واخرى فى المساء ، هكذا كان الاتفاق اول يوم ـ كما قالت امى ـ ولولا عدم انجاب هذه العائلة لاى ابن ، لما طلبت المراة من امى ان تمنحنى اياها لتربيتي معجبة بجمالى ، ولما تحسنت ظروف امى المعاشية بعض الشيء فغدا منذ ذلك الحين ، اى منذ سبع عشرة سنة هذا هو اساس حياتنا الوحيد .! عجبا !

ماذا لو ينهار هذا الاساس الواهى ؟ لو تطردنا العجوز الفرنسية انا وامى المسكينة ؟ الى اين سنذهب بل ماذا سناكل ؟ الى غير ذلك من الافتراضات العديدة والمحتملة كلها ؟؟ يا لهذا الاساس الواهى القائمة عليه حياتنا .!. ترى هل يتقاضى العساكر مرتبا ؟ ؟

وحين اضاف الشاب بعد ان تململ على السرير بصوت مرتفع :

ـ لا شك انهما استيقظا .

انتهى الى سمعه صرير باب احدى الغرفتين ، فوثب لحينه واسرع الى الغرفة وحيا بادب واحترام العسكرى الذىكانارتدى بزته بعد ، ثم سأله عما اذا كان نام نوما مريحا فى النزل ، وبالرغم من جفاف لهجة محدثه واقتضاب كلماته ، لم ييأس بعد من اخذ ما يحتاجه من معلومات عن الجندية ، فقد استجمع انفاسه ثم القى السؤال الذى ظل ينمق عباراته جيدا :

ـ الا تستطيع ان تعطينى بعض المعلومات عن العسكرية ٠٠ فاننى افكر فى الانخراط بها ، ولكن مع الاسف اجهل كل شيء عنها ؟

ـ قهقه الجندى مصلصلا ، ثم ربت على كتف الشاب الذى ابى الا ان يجاريه فابتسم ، دون ان يفقه شيئا ، وخشى ان يخيب الجندى ظنه ، فلا يخرج عن القهقهة كلما القى عليه سؤالا ، الا ان امله لم يخب فقد بادره :

* * *

ـ اتـدرى ما الذى اضحكنى ؟ لقد انقيت سؤالك هذا بعينه فى فتـرة من حياتى ، وكان الجواب قهقهة مثل قهقهتى بعينها ، يا للعجب ٠ اى سحر تنطوى عليه العسكرية بالنسبة لنا ، قـل لى ، مـا الذى دفعك الى التفكير فى هذا المـوضوع ؟

ـ لم اجد اى اساس تقوم عليه حياتنا ، يعنى حياتى ، وكذلك لم يتراء لى اى حـل لهـا ٠٠

ـ آه ، كفى ، كفى ، لم يتراء لك اى حل غير ان ٠٠ ان تلتحق بالجندية، انه مشكلنا جميعا ٠٠ اسمع يا بنى ، العسكرية هى مقامرة ، مقامرة بالحياة٠٠ هى الحرب ، فى كلمتين هذا هو جـواب سؤالك ، لقد قضيت سنـوات فى العسكرية ، وما تزال امامى سنتان هما املى كله ، فاما ان انجو فيهما ، واما ان اخسر حياتى دفعة واحدة ،٠٠ على كل استمع مليا الى ما ساقوله لك ، او بالاحرى الى هذه الحكمة المتداولة : يا ذاهبا للهند الصينية ، هناك الحرب فاما ان تعود باسنان ذهب او بساقى حطب ٠٠ هذا فقط ، ما يسعنى ان اقوله لك عن الحرب وعن الحياة العسكرية ، وانراى رايك على كل حال ٠

* * *

وبعد يومين لا يعلم الا الله كيف قضاهما بلخير فقد غمرته ازمة خانقة ، وانصبت على راسه الصغير جميع الافكار ، التى لم يالفها ، وطرح على نفسه الف سؤال او اكثر دون ان يجد لها ولو جوابا واحدا ، يمكن ان يكون خيطا يبشر بزوال الازمة ٠٠ بعد يومين ارسلته العجوز الى السوق ، لاحضار الخضر والحشائش للارانب ، فلم يكد يجمعها ويخطو الخطوتين عائدا ، حتى فوجئى بمنظر استرعى انتباهه ، : جماهير غفيرة محتضبة ، حول عربة ، ماذا هناك ؟ وتقدم ليعرف ماذا هناك ٠٠ ومن النظرة الاولى ادرك ماذا هناك ٠٠ بل واكثر من ذلك عثر عما كان يود العثور عليه ، فارهف سمعه وراح يلتقط بنهـم

وشغف ما يفوه به الرجل الذى اعتلى العربة العسكرية ، وكان بدوره عسكريا بل ، ضابطا ، قال الضابط :

ـ تطوعوا تربحوا ، تطوعوا تربحوا ، الكيلو غرام بالفى فرنك ٠٠ من يزن سبعين كيلو فنصيبه مائة واربعون الف فرنك ٠٠ مائة واربعون الف فرنك ايها السادة ، الامر ليس بالعبث ، انه جد ، اقصى ما يكون الجد ، انها فرصة يجب اغتنامها ٠٠ اليوم فقط زرناكم وقد لانعود الى جلفة الا بعد سنين ٠٠ ومن يدرى فقد لا تعود الفرصة مرة ثانية ،٠٠ الكيلو غرام الواحد بالفى فرنك ، اى نعم ، وانها لفرصة سانحة ثمينة ينبغى ان لا يفوتها احد ، لا ترددوا ، فمن يتقدم ؟ ؟

فكر بلخير ان يتقدم قائلا :

ـ انا ٠٠ ها قد تقدمت ٠

بيد ان آخر سبقه ، فتقدم نحو الضابط الذى احاله على ضابطين كانا يجلسان حول منضدة صغيرة ثم واصل كلامه بلهجة اشد حماسا من ذى قبل :

ـ وليس هذا ايها السادة معناه ان الانسان باع نفسه ٠٠ كلا ، كلا ٠٠ يجب ان لايفهم من كلامى ان فرنسا ، تشترى الناس بالمال ، لا ، ايها السادة، انما هى توفر للشباب فرصا للاثراء والتكون فى نفس الوقت مع ابنائها ، والتطوع ابتداء من اربع سنوات فصاعدا ، ويستطيع الانسان تجديده حين ينتهى الامد ، وفوق هذا وذاك فان المتطوع الذى يخدم فرنسا باخلاص امامه فرصة الارتقاء فى الرتب ٠٠ وعدد الضباط الذين بداوا حياتهم العسكرية مثل هذا الشاب الشجاع الذى تقدم الآن كبير ، لا يحصى ، اما المرتب فانه لا يحتاج الى اكثر من كلمة ٠٠ انه مغر ٠٠ وكفى ايها السادة ، تطوعوا تربحوا ٠٠ الكيلو الواحد بالفى فرنك٠٠ فمن يتقدم ؟ من يتقدم ايها السادة ؟؟

ـ انا ٠٠ انـ٠٠ـا ٠٠

لم يدر بلخير كيف انفلتت منه هذه الكلمة التى التقفها الضابط من فمه ليبادره :

ـ اتقول ؟ هيا تقدم ايها الشجاع ، تعال ٠

وبخطوات مضطربة ، تقدم بلخير ، مصمما على ان لا يدع اى مجال للتردد ، ودون ان يتساءل ، هل احسن صنعا املا ؟ وهل انه اقتنع حقا ، بوجاهة ما اقدم عليه ،؟، انه ذكى ، ويعرف انه ذكى ، وله الثقة المطلقة فيما يتخذه من

قرارات ، ولو كانت ارتجالية ٠٠ ومهما يكن فانه يجهل ان القرار الذى اتخذه انما شاركته فى اتخاذه الحياة ، حياته المنعدمة الاسس ، والظروف ، ظروفه المنعدمة الافاق والابعاد ، كما يجهل ان كلمات العجوز العقيم ، قد اصابته فى الصميم ، لانها نبعت من الواقع المر ، وعبرت عنه ٠٠

ساله احد الضابطين اللذين وقف امامهما ، تلتهمه اعينهما التهاما :

ــ ما اسمك ؟ وكم عمرك يا بنى ؟

ــ مساعدية بلخير ، مولود فى 23 جانفى 1934

اجابه الشاب دون اى تردد، وانتظر لحظة ليقدم له الدفتر فيمضى امام اسمه

* * *

وتلت تلك اللحظة الرهيبة التى قرر فيها الشاب الحائر مصيره ، كلا ، انه لم يقرر مصيره ، انما ارتمى فى احشاء المجهول، تنصلا من حياته التى لا تنهض على اى اساس ٠٠ تلت تلك اللحظة ايام كالحة ، وليال اشد قتامة من ديجور حياته نفسها ، فكانت امه العجوز المسكينة ، ما تنفك تنوح وتعول مفسحة المجال لصدرها يرسل الآهات الممزقة للقلوب ، اما العجوز الفرنسية العقيم ، فمع شديد اسفها لفراقه ، فانها شغلت بالمشكل الذى ترتب عن انقطاع بلخير عن العمل فى النزل ، ولو ان الشكر الحار الذى اطراها به الجندرمة حين بلغ الى علمهم الخبر خفف بعض الشيء من اسفها ، فراحت تفكر جديا ، فى مشكل من سيخلف الشاب المرتحل ، الذى قال لها بكل صراحة ، حين ارادت ان تعبر له عن اسفها ، وتلومه عن فعلته التى لم يستشرها فيها :

ــ انت السبب ، لا لانك القيت فى راسى هذه الفكرة ، انما لانك فصلتنى عن التعليم ، لكى تعلمينى كيف انظف وارتب غرف النزل العشرين ، ومع ذلك فانه لا يسعنى الا ان اوجه اليك الشكر الجزيل ، على ما منحته ايانا من اعانة ، وعلى الاحسان الذى لقيته لديك ٠٠

دقت العجوز الشمطاء يدا بيد ، محتجة وقد ركبهــا الغيظ حتى اختنقت العبرات فى حلقها ، ثم قالت :

ــ اهذا ما تجازينى به ، هذا الخنجر الحــاد ، بعد سبع عشرة سنة ، شكرا، شكرا ، بلخير ، كنت اعتقد انك تعتبرنى مثل امك ، شكرا ، شكرا ، بلخير، يا بنى بلخير الذى تربى طيلة سبع عشرة سنة فى احضانى ٠ ٠

ودون ان يابه الشاب لعبرات العجوز التى انحدرت تتخذ تجاعيد وجهها مجرى لها ، ودعها فى برودة ثم انصرف ، الى الكوخ الذى انتقل اليه هو وامه البارحة فقط ، فسلم لها المبلغ المدلى الذى باع به نفسه ، باع به الستين كيلو غرام التى يزنها ، لفرنسا تسخرهـا مثلما يحلو لها ، طيلة اربـع سنوات ، بايامها ولياليها فى ظروف واماكن يجهل منها كل شيء ، لا يملك عنها ايـة فكرة ، وبعد ان اوصى امه بالاقتصاد مـا وسعها ان تقتصد حتى لا تطاطئ راسها لاى كان ، وبان تنال قسطها من الـراحة بعد تعب العمر من اجلـه ، احتضنها وضمها بقوة الى صدره ، وراح يلثم وجهها الذى بللته الدموع المنهمرة ولم يكد يتخلص من بين ذراعيها ، ويبتعد عنها ليخفى دموعه ، حتى انتهى الى سمعه صوت ينادى بالفرنسية :

ـ مساعـدية بلخير ٠

احنى الشاب ظهره واطل خارج الكوخ ، واذا الجندرمى يبصره ٠٠ الجندرمى الذى بادره وهو يبتسم :

ـ امستعد ؟ هيا ستسافرون اليوم ايها الابطال

حدق فيه الشاب بعينيه المغرورقتين ، هنيهة ثم اطل الى داخـل الكوخ ، وبصوت متهدج هتف :

ـ الوداع ، وداعا يا امى ٠٠

ودون ان يفكر ، فى انتظار جوابها التفت الى الجندرمى ، وود لويقول له :

ـ انا الآن ملك لكم ، اننى مستسلم ، خذونى ، افعلوا بى ما تشاؤون٠٠ اعرف انكم ستفعلون بى ما تشاؤون ٠

الا انه آثر الصمت ، وتبعه مطاطئ الراس ، غارقا فى شبه غيبوبة وكانما القى بنفسه من قمة شماء ليهوى الى قرار هوة سحيق ٠ ٠ ٠

* * *

قبل ان يمتطى العربة التى ستغادر به (جلفة) قريته العزيزة التى لم يشعر بانه يحبها ٠٠ يحبها من اعماق قلبه ، حبه لامه التى لم يترب بين احضانها ، ولم يكن ليشعر بانها اعز ما فى حياته ، الا حين صمم ان يفـارقها ، وادرك الدوافع التى حدت به الى ذلك ، قال له الجندرمى الذى اصطحبه :

ـ لقد لاحظت لهم فى ملفك انك فرنسى لحما ودما ، وذكرت انك ربيت فى عائلة فرنسية ٠٠ انى اعلق عليك آمالا عريضة ٠٠واعتقد انك ستكون عند حسن ظننا بك ٠

وفى غمرة افكار مشتتة وعواطف واحساسات غامضة ، مضطربة ، اقلعت به العربة ، مع جمع من الشبان فالتفت الى الوراء والقى نظرة على القرية ، ولما اختفى الكوخ الذى خلف فيه امه تنوح ، على فراقه ، راح يتابع المنظر الجميل النخيل تناطح السماء فى شموخ واباء ، الرمل ، هذا الفراش الذهبى الذى يحيط بالواحات الغناء الزاهية ٠٠ آه ما اروع وابدع جمال قريتى ، يا لهذا المنظر الاخاذ ٠٠ لم لم اتمتع بهذا الجمال قبل الآن ياترى ؟ بل لم لم اتمتع بحب امى قبل الآن ياترى ؟ بل لماذا كتب ان اخرج من مسقط رأسى ، فى مثل هذه السن المبكرة ،؟؟ لماذا لا اكسب من ثروات قريتى الجميلة الا كوخا حقيرا ،؟؟ اهكذا كتب لى ان امارس وجودى وحياتى ؟ ماذا تعانى امى المسكينة فى هذه اللحظات بالذات ياترى ؟؟

وقطع عنه افكاره هذه صوت احد الشبان يخاطبه :

ـ عسكرى ، هوه ، يا عسكرى ، لقد خرجنا من جلفة فرارا من الهم ، فكيف يليق بنا ان نصطحب ولو مثقال ذرة منه انس الهم ينسك الهم ٠ ٠ ٠

وفعلا بدا ينسى الهم وبدا الهم ينساه بدوره ، فانقضت المسافة الطويلة دون ان يشعر بها ، فقد تجاوب مع الشبان الذين معه الى حد انساه حتى نفسه وامه ، ومنذ وطئت قدماه سور الغزلان والمركز العسكرى انشغل بالحياة الجديدة التى لم يكن يعرف عنها اى شىء سوى تلك البزة التى يرتديها العساكر ، والتى سر بها يوم منحها وارتداها ايما سرور ، حتى انه تمنى وقد طالت الايام لو ان الجدران كلها مرايا حتى يتمتع بالنظر الى نفسه ، والحق انه استطاع ان يتجاوب مع تلك الحياة بسهولة ، بفضل ثقافته التى وان كانت متواضعة فانها مكنته من فهم ما يجرى حوله ، وعلى الاخص ما يتلقاه من الضباط من تدريبات واوامر ، خلافا لبقية زملائه الذين تعرضوا لصعوبات جمة ، قاسية ، رغم ما يمتازون به من ذكاء مفرط ، كما ان بلخير كان عند حسن ظن الجندرمة به فقد صقلت طباعه التى نمتها فيه العجوز الفرنسية العقيم ، وازداد سلوكه تحسنا على مر الايام ، ولم تخف هذه الظاهرة عن الضباط ، ولم يدعوها تتطور تلقائيا ، فراحوا يشجعونها وينمونها شيئا فشيئا ، الى ان فصلوه عن بقية زملائه الجزائريين ، خشية العدوى ، وسر ايضا بلخير بهذه البادرة الطيبة

وبهذا التمييز المشرف ، فاخلص فى القيام بعمله وفى خدمة الضباط ، سواء فى المركز او فى بيوتهم ، وهكذا انسلخت من حياته الجديدة ستة اشهر ٠٠ ستة اشهر كاملة ولكنها انقضت دون ان يتفطن الى ان الـزمن يسير ، وانـه سار مسافة طويلة هى ستة اشهر ، بايامها ولياليها ، لقد انسلخت بسرعة فائقة حتى ان الرسائل التى كتبها لامه طيلة هذه المدة لم تتجاوز الثلاث ٠٠ لقـد نسى الهم فنسيه الهم بدوره ٠

* * *

الى ان حدثت حركة غير عادية فى المركز ، نقل كثير من زملائه الى حيث لايدرى وودعه البعض من الضباط الفرنسيين الذين كان يشعر نحوهم بميل وبود وصداقة ، فجاة ، وكل منهم يسمى له قرية او مدينة من قـرى ومدن الجزائر التى سينتقل اليها ، وحـاول بلخير ان يـدرك سبب هذه التنقـلات والتحركات المفاجئة ، الا انه لم يجد الا افواها مغلقة عن سر لم يحن اوان اطلاعه عنه بعد ٠ بيد انه رغم كل ذلك الكتمان ، استطاع ان يطلع على شىء اشبه بالحقيقة ، فقد عثر على جريدة (لاديباش) وصدفة وقعت عيناه على عنوان فى ركن مغمور لفت انتباهه ، فراح يقرا : ــ القوات النظامية تشتبك مع عصابة من المتمردين فتبيدها ــ منذ بدا المتمردون فى تمردهم اى منذ فاتح نوفمبر الجارى والقوات النظامية تكبدهم الخسائر تلو الخسائر ، سواء فى الارواح او فى العتاد الذى لا يتجاوز بنادق الصيد ، وقد اشتبكت يوم امس مع عصابة منهم فى ناحية اوراس فابادتها عن آخرها ٠الخ ٠

تمتم بلخير حين انتهى من تتبع الاخبار بينه وبين نفسه :

ــ هذا هو السر اذن ؟ لكن لماذا يخفونه عنى ؟؟

بيد ان الجواب جاءه سريعا ، فى مساء ذلك اليوم بالذات ٠٠ ناداه القبطان بنفسه الى مكتبه وبعد ان امره بالجلوس على مقعد بجانبه قال له :

ــ بلخيـر ؟

ــ تحت الطلب

ــ ماذا تعرف عن التمرد ؟٠

ــ لا شىء سوى بعض حوادث قراتها هذا الصباح فى لاديباش ٠٠ لم اسمع بالتمرد الا اليوم

ــ شىء حسن ، وما رايك فيه ؟

ـ في التمـرد ؟ ؟

ـ ان المتمردين هؤلاء هم عصابات من المجرمين الهاربين من العدالة ، تحصلوا على اسلحـة بدائية ، مثل بنـادق الصيد والخناجـر ، وراحـوا يـذبحـون وينهبون المدنيين المساكين الذين يطالبون السلطات النظامية بالحاح بان تحفظ حياتهم وارزاقهم ٠٠ افهمت ؟؟ هذا هو التمرد ، لكن الغريب المضحك هو ان العصاة يبررون اجرامهم وعصيانهم بشعار : القـاء فرنسا وجيش فرنسا في البحر ؟ بلخير ما رايك ؟

ـ لقد قالت الجريدة ، ان القوات النظامية ما فتئت تكبدهم الخسائر تلـو الخسائر ، اليس هذا صحيحا

ـ اسمع بلخير لقد لا حظت منذ اليوم الاول انك من طراز خـاص ، انك لست من طينه بقية الجزائريين الذين فصلتك عنهم ، ومازال هذا رايي فيك ، استمع جيدا الى ما ساقوله لك : انا سنرحل عن سور الغزلان عما قـريب ، ولكنني لم انسك ، بل لقد فكرت في امـرك كثيرا ، انك ، بلخير اول مسلم ارقيه الى رتبة ـ سارجان ـ ٠٠ بل اول مسلم يبلغ هذه الرتبة قبل ان يقضي على الاقل اربع سنوات ، في الجيش الفرنسي ٠٠ اتسمع ؟؟

انفرجت اسارير بلخير ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة ، لا يتذكر قط ان الحياة اسعفته بمثلها وشعر بنسيم راحة ضمير يهب عليه ، للمرة الاولى قويا عليلا اكثر مما كـان يتمنى ويحلم بان يهب عليه ذات يـوم ٠٠ وكان القبطان يلاحظ كل ذلك ، وقد شعر بدوره بجذل وسرور لا يقلان عما شعر بـه بلخير ٠٠

وقبل ان ينبس الشاب المغتبط باية كلمة شكر اردف القبطان :

ـ انت ستبقى هنا ٠٠ ولكن اقترح عليك اقتراحا ، اعتقد انـه سيسرك كثيرا ٠٠ اتسمع بلخير ؟ ما رايك في الهند الصينية ؟ الم تفكر قط في تقديم مطلب للذهاب اليها ؟ هنالك فرص كثيرة بالنسبة لك ؟ ؟

لم يجبه بلخير ولم يفكر انيجيبه، انما راح يعيد كلمات قالها له العسكري في نزل العجوز الفرنسية العقيم عـلى انها حكمة متداولة : يا ذاهبا للهنـد الصينية هنالك الحرب ، فاما ان تعود باسنان ذهب او بساقي حطب

ـ من يـدري ؟ ؟

القى هذا السؤال على نفسه ، ثم رفع بصره الى القبطان قائلا بصوت خافت :

- سأجيبكم صباح الغد ٠

* * *

عاود بلخير الاسى مرة اخرى وأضحى فريسة للقلق والحيرة اللذين ساوراه يوم قرر ان يلتحق بالجيش الفرنسى ، فباع الستين كيلو غرام التى يزنها لمدة اربع سنوات ٠٠ واستعد لمغادرة قريته الحبيبة جلفة الجميلة والنأى عن امه المسكينة ، ع لى امل فى العودة ، ولو كان ضئيلا ، فقد هول له من عرفوا الحياة العسكرية الامر ونصحوه بالعدول ، ولكن بعد فوات الفوت ، بعد ان باع نفسه وانتهى الامر ، بعد ان اصبح تحت رقابة الجندرمة ، وتحت تصرفهم ، وطلبهم بعد ان ندم ولكن فى الوقت الذى لا يكون فيه الندم سوى ابر تخز الفؤاد ٠٠

ما اشبه الليلة بالبارحة

ها هو مرة اخرى يلقى بنفسه ، فى عالم المجهول ٠٠

ما اشبه الليلة بالبارحة

ها هو مرة اخرى يتأهب للرحيل ، من مكان الفه ، والف الحياة فيه ٠٠ ها هو مرة اخرى فى انتظار السفر لقد اقلقته يوم غادر جلفة عربة شحن ، وخلف وراءه اما تبكى ، ومنظر النخيل البديع ، والرمل الذهبى ، اديم ارضه الحبيبة وسوار الواحات الغناء ٠٠ وستقله يوم يغادر الجزائر باخرة حربية ٠٠ لكن مـاذا سيخلـف وراءه لا شـئ ، عـلى الاطـلاق ٠ ٠ لكـن ؟ ؟ الـم يخلف ارضا ينتسب اليهـا ؟ الم يخلف قوما تربطه بهم شتى الروابط ؟ الـم يخلف عالـما يعتبـر واحـدا منـه ؟ الـم يخلف ريحـا تهب عليـه ، ثم على قريته، تلفح وجهه ثم تواصل مسيرها لتلفح وجه امه المسكينة ؟ الم يخلف؟ الم يخلف ؟٠ اى نعم خلف وخلف ٠٠ خلف كل شيء عزيز على قلبه ، خلف وطنا لا ريب فى انه وطنه ٠٠

ما اشبه الليلة بالبارحة ٠٠

لم يعـرف جمال قريته وتعلقـه بها الا حين آن ان يغادرها ، ولم يعرف ارتباطه بوطنه الا حين آن ان يخرج منه ٠

انه يحب قريته جلفة ، الجميلة ، انه يحب وطنه الكبير ٠٠ الجزائر ٠٠

شغلت راس بلخير ، هذه الافكار ، واخرى شبيهة لها ، الا انها غامضة ،

لم يفقه منها شيئا ، ولو انه يفسرها بالحزن والهم ٠٠ شغلته اياما وليالى ، كانت بحق كالحة مدلهمة ، الى ان كان يوم نودى فيه باسمه : مساعدية بلخير وصعد الى عربة الشحن ، مع ما يقرب من ثلاثين شابا من بنى جلدته ، وشعر هذه المرة صادقا ، ان هؤلاء الشبان تربطه بهم رابطة قوية ، وبالاضافة الى المصير المشترك ، ووحدة الالم والهم ، هذا اللسان الذى ينطق بحروف واحدة هذه السمات المتشابهة ، هذه ٠٠ هذه ٠٠ انه جـزء منهم ، جزء من كـل لا ينفصم ٠٠ ودفعه هذا الشعور الى التخفيف من وطاة ما يعانون ، من احزان وآلام ، فكان هو الذى نطق هذه المرة بكلمات ، قيلت له يوم خروجه من جلفة: عسكرى ، هوه ياعسكرى ، لقد خرجنا فرارا من الهم فهل يليق بنا ان نحمل معنا ، ولو ذرة منه ، انس الهم ينسك الهم ٠

ومن وهران التى قضوا بها ليلتهم ، اقلعت بهم الباخرة الحربية فى الصباح الباكر ٠ ٠ ومن النافذة ، ظل بلخير يتـابع النظر الى المبـانى والاشجار ، والشاطىء الى ان اختفى كل ما على الارض الحبيبة ، ولم يعد يحيط بالباخرة التى تشق عباب الماء شق الافكار رؤوس الشبان الراحلين سوى الزرقة ٠٠ وقبل ان يستلقى بلخير من فرط الاجهاد تساءل :

ــ هذا الوطن الكبير الثرى ما الذى يجعلنا محرومين منه ؟؟

* * *

الا ما اثقل الايام والليالى هنا وما ابطا سير الزمن فى ارض غريبة

آه متى تحين يا يوم العودة ؟ العودة الى الوطن ، وان هناك الف هم وهم ٠٠ آه ٠٠ آه ٠٠

وهكذا بدات حياة بلخير منذ وطئت قدماه ارض الهنـد الصينية ، ونقل الى مركز يبعد عن (سايغون) بنحو عشرين ميلا ٠٠ ولو لم تضع الحرب اوزارها قبل حلوله بخمسة اشهر ، لكان ممكنا ان تكون الحياة على غير ما هى عليه الان من الرتابة والركود ، ولشغلته اهوال الحـرب وويلاتهـا عـن نفسه وعن وطنه ولما وجد الهم الى نفسه سبيلا ٠٠ ولربما اراحته دفعة واحدة مـن عنـاء حيـاته ، ومـن معضلات وجـوده ٠ ٠ هـذه الحيـاة ، وهـذا الوجود الذين لا يقومان على اى اساس حتى بعد ان باع نفسه ، وتنصل من مسؤولياتها ٠٠ ولربما فقد احدى ساقيه ، او كلتيهما معا ، وفى كلتا الحالتين فانه هو الرابح على كل حال ٠٠ اى نعم هو الرابح ، فسيطلق سراحه ، مع مرتب مالى يكفل له العيش ما تبقى من عمره ٠٠ ولكن ٠٠ ، هـا هى الحرب

انتهت ، وها هى الحياة ثقيلة جدا ، جدا ٠٠ لا تطاق اى لا تطق ٠٠ اما اسنان الذهب فانه لن يعود بها ، حتى هى ، رمز العار ٠٠ ان الذين عادوا باسنان الذهب هم اولائك الذين نهبوا وسرقوا ، زمن الحرب ، والحرب انتهت وعلى فرض انها لم تنته ، هل يستطيع ان ينهب ويسرق هو الآخر ؟ ابدا لا يستطيع

ما العمل اذن ٠ ؟ ٠

كثير هم الذين يركنون الى الفرار فهل يستطيع هو بدوره ان يفر ؟ ولا هذا ايضا ٠ والف مرة كلا ٠ لن يسمح لنفسه حتى بالتفكير ، مجرد التفكير ، فى هذا الامر ، لقد باع نفسه ، فليتحمل عواقب هذه الصفقة المشؤومة ، ليتحملها بالصبر والجلد ، دون الركون حتى الى الحمر التى يبغضها ٠٠ ليتحمل ولعن الله العجوز العقيم التى كانت السبب ٠٠٠

وصبر ، ثم صبر ، ثم تجلد ، شهرا ٠٠ اثنين ٠٠ ثلاثة ٠٠ اربعة ٠٠ خمسة ٠٠ ستة ٠٠ سبعة ٠٠ ثمانية ٠٠ تسعة .. اشهر كاملة .. مائتان وسبعون يوما ومائتان وسبعون ليلة ٠٠ تسعة اشهر كاملة من التبرم والقلق والضيق والسأم والضجر ٠٠ انها تسع سنوات فى الواقع ٠٠

ان من عاش ولو جزءا من عمره مغتربا هو الذى يدرك وحده ما عاناه الشاب ٠٠ السارجان الطفل بلخير ٠٠ ويدرك ايضا مشاعره وعواطفه يوم تلقى النبا السار ٠٠ نبا العودة ٠٠ العودة ٠٠ الى الوطن ٠٠ الى حيث القوم قومه ، والارض ارضه ، والريح التى تهب عليه هى التى تهب على قريته وعلى من يحب ٠٠

آه ، ايها المغتربون ٠٠ يا من خلفتم اوطانكم العزيزة ٠٠ وقلوب احباء تتحرق شوقا اليكم ٠٠ آه ، ايها المغتربون كم هو جميل ، وكم هو سار نبا العودة ٠٠

ذلك ما كان يلهج به لسان بلخير ، منذ تلقى النبا الى اللحظة التى اقلعت فيها الباخرة ٠٠ تحمله ٠٠ تحمل قطعة من السعادة تتراقص واثبة ٠٠ فتكاد تطفر منها لتتبعثر فى عرض اليم ، فتحوله بدوره الى يم تجرى فيه السعادة بدل المياه ٠٠٠

وللمرة الاولى يسافر بلخير ، دون ان يفكر فى الالتفات الى الوراء ٠٠٠٠٠

* * *

ورويدا، رويدا بدأت الباخرة تدنو من الارض الحبيبة ٠٠ وبدا الشاطئ الرائع

يلوح من وراء الافق البعيد يدغدغ الامال العذبة ، ويداعب القلوب المكتئبة ، لتدب فيها الحياة ، فيشتد خفقانها بعد طول سهوم ٠

ـ وهران ٠ وهران ٠ هذه وهران ٠٠ آه ، كم هي جميلة وهران ، لقد عدنا ٠٠ عدنا ٠٠

قال بلخير في سره ، وقال آخرون باعلى اصواتهم ، بينما هتف البعض الآخر :

ـ احباءنا ٠٠ ها قد كتب لنا ان نتلاقى بعد طول التنائي ٠٠ ها نحن قد عدنا بعد سنوات من النوى

ارست السفينة ، حين كانت الساعة تعلن الثمنة والنصف ليلا فظن الجميع ، ان ليلتهم تلك سيقضونها احرارا في وهران ٠٠ فراح كل منهم يفكر في برنامج تقضية اوقاته ٠٠ هذا يفكر في الحانات ، وذاك في دور البغاء والاخر يفكر في من سيختاره للذهاب معه لانه لا يعرف المدينة ٠٠

اما بلخير فانه فكر هو ايضا في كل هذه الامور ، باستثناء الخمر التي يبغضها بغضا شديدا ٠ كما انه فكر في ان يكتب رسالة الى امه، ويوجه لها حوالة بقدر مالي تستعين به حتى يعود في اجازة فيرتب امورها وينظم اولا وقبل كل شيء مسكنها ، فمن يدري ان الكوخ الحقير الذي خلفها فيه ربما انهار بعد ، او انه على وشك الانهيار ٠ ؟ ٠

وبينما هم كذلك لا يفكرون الا في كيفية قضاء الليلة في وهران ، اذ بالامر يصدر اليهم بان لا يغادروا الباخرة حتى يحدث ما يخالف ذلك ٠٠

بدات آمالهم تنهار كلما طال مكوثهم في الباخرة ٠٠ وكثرت تساؤلاتهم عن الاسباب ، الا ان شابا كان طيلة الوقت مطرقا لا يشارك في الكلام ، طيبا كان او بذيئا ٠٠ انبرى يجيب عن تساؤلاتهم قائلا :

ـ انسيتم ان بلادنا في حرب ؟ الم يبلغكم شيء عن الثورة التي يقوم بها شعبنا ؟ انها مثل تلك التي كنا نحارب الصينيين من اجلها ٠٠

ـ ماذا ؟ ماذا ؟ تقول ؟ ؟ انها الثورة ؟ ؟ عجبا ٠٠

تعالت اصوات الجنود تردد هذا السؤال ، ولما هدات ضجتهم ، وانقطع صخبهم ، التفت بلخير الى الشاب الذي اثارهما والقى عليه هذا السؤال :

- الم يقولوا انه مجرد تمرد ، وعصيان جماعة من الخارجين عن القانون ؟؟؟

- من الذين يقولون هذا الكلام ؟ ؟ الضباط ؟ لقد كانوا يقولون مثل هذا الكلام عن الثورة فى الهند الصينية قبل كارثة ديان بيان فو ٠٠ لقد عشت ما يزيد عن ست سنوات فى غمار هذه الحرب او هذا التمرد وهذا العصيان كما يحلو للضباط الفرنسيين ان يقولوا ، حتى ابان الكارثة الماحقة ٠٠ ان شعبنا ثائر ، وسيعلم الضباط كيف ينطقون بأسم الثورة

فى تلك اللحظة بالذات ، حدث ما يخالف الامر الاول فاستبشر الجنود المتعطشون الى ليلة يقضونها احرارا يتصرفون فيها كما يحلو لهم ، وظنوا ان ساعة الفرج قد دقت حتى ان البعض منهم هتف من اعماق قلبه :

- استعدى وهران الجميلة ٠٠

وان هى الا لحظات قلائل حتى كان الجميع مشحـونين فى العربـات التى انطلقت بهم تحرسها الدبابات المصفحة الى حيث لا يدرون ؟ ٠ ؟

آه ، ما ابشع ان تخيب امل العسكرى فى اويقات راحة ٠٠

* * *

بالرغم من ان بلخير ، لم يعد الى جلفة ، ويرى امه ، فانه ابل مما كان يشعر به من ضيق وكرب وضجر ، حين كانت تفصله عـن الوطن الحبيب محيطات وبحار ، وآلاف الاميال ٠٠ فقضى ما يقرب مـن الشهر فى قلعـة تلمسان العسكرية هادئا مطمئنا فى هدنة مع الافكار التى تحمل له الازمات ٠٠ فلم يفكـر فى شىء واضح يمكن أن ينغص عليه حياته ، ولـو انه فى بعض الاحيان ، وحين يخلو الى نفسه فقط ، يستعيد كلمات الشاب الذى لم يره منذ نزل من الباخرة ، عن الحرب التى تجرى فى الجزائر ، هذه الحرب التى يقال انها تمرد وعصيان خارجين عن القانون الم ينقرض هؤلاء الخارجون عن القانون بعد ؟ ؟ الم يقولوا ان اسلحتهم بدائية ، بنادق صيد ، وخناجر ؟ ؟ كم عدد هؤلاء الخارجين عن القانون ؟ ؟ وكيف عجزت السلطات النظامية عن ابادتهم وهم لا يملكون الا بنادق الصيد ؟ ؟ ٠٠٠

ومع انه طال به هذا التفكير ، ولاك هذه الافكار عينها اكثر من ليلة ، فانه لم يخطر لبلخير قط ان يتخذ موقفا من هذه الحرب وهذا التمرد مثل الشاب الذى لم يعد يشك فى ان كلامه ذاك بلغ الى علم الضباط فالقى عليه القبض٠٠ انه لم يظهر منذ تلك الليلة ، ولم يفته وهو الذكى ان يدرك ان هناك رقابة

مشددة على كل الجنود المسلمين ومعنى ذلك انه لا يثق بهم من طرف الذين يعملون فى صفوفهم ٠٠ الفرنسيين ؟ ؟

ومع ذلك ، لم يتخذ اى قرار بل لم يشعر باية ازمة ، من تلك الازمات التى تسبق دائما اتخاذ القرار ٠٠ اى قرار ٠٠ حتى حين نقل الى (الحراش) وكلف باصطحاب الفرقة التى تحرس قوافل نقل البترول من حاسى مسعود بيد انه شعر بان حراسة محكمة مضروبة حوله من طرف الجنود الفرنسيين الذين لا عمل لهم كما يبدو الا حراسة الجنود الجزائريين ، الذين يحرسون بدورهم القوافل ٠٠ من الجزائريين ٠ ؟ ٠

وانقضت ثلاث سنوات عن اليوم الذى باع فيه نفسه ولم يبق على استرجاع ملكية الستين كيلو غرام التى يزنها الا سنة ٠٠ سنة واحدة ٠٠ حسنا ليصبر اذن ، وليفكر فى كثير من الامور ، حين يعود الى الحياة المدنية ٠٠ وقد آن له ان يعود ٠٠ سنة واحدة ستقضى فى طرفة عين ، ودون ان يشعر بها الا ان العجوز المسكينة ٠٠ امه التى اكثرت من الالحاح عليه فى رسائلها بان يحضر لتراه قبل ان يوافيها الاجل المحتوم ــ كما قالت فى رسالتها الاخيرة ، لماذا لا يقدم طلبا فى اجازة ، ولو قصيرة الامد ، يزور فيها العجوز ٠ ؟ ٠

وحين قدم الطلب جاء الجواب بعد اسبوع ٠٠

لقد تقرر ان ينقل الى فرنسا ٠٠٠٠

وان هى الا ايام قلائل ، حتى اقلعت به باخرة حربية مع جمع من اخوانه المجندين والمتطوعين الجزائريين ؟ لم يشعر بلخير بالاستياء هذه المرة ، ولم يداخله اى حزن او اسى ، ولم يطل حتى التحديق فى الشاطىء حين اقلعت به الباخرة مثل المرات السابقة ولم يركبه الهم هذه المرة لا هو ولا من كان معه حتى يخطر له ان يقول يواسيهم : عسكرى هوه يا عسكرى لقد خرجنا فرارا من الهم ، فهل يليق بنا ان نصطحب ولو مثقال ذرة منه ؟ انس الهم ينسك الهم ٠

انه بات على يقين من ان نقلتهم هذه كانت لغاية ٠٠ غاية واضحة وضوح الشمس ٠٠ المقصود من ابعادنا هو ابعاد رؤوسنا ، عن افكار الثورة ٠٠ هذا هو جزاؤك على اخلاصك يا بلخير ٠٠ النفى ، النفى والابعـاد ٠٠ انك فى نظرهم لست الا عدوا ، شكرا ، شكرا يا فرنسا ٠٠ انا ايضاً عدو ؟؟ انت ايضا عدوة ٠٠ وسنرى ٠٠

وأذكى الروح الجديدة التي سكنت بلخير ، ونمى افكاره هذه التي تجمعت لديه شيئا فشيئا منذ اقترحت عليه العجوز الفرنسية العقيم ان يتجند فى الجيش الفرنسي ٠٠ ما وجده امامه فى فرنسا من روح لدى كل من يتصل به من الجزائريين ، قيل له انها الوطنية ، التى فرضت نفسها حتى داخل مراكز فرنسا العسكرية ٠٠ فقد بات الجنود الجزائريون ، لا حديث لهم الا عن الثورة والثوار ٠٠ وكل منهم يقسم على الالتحاق بالجبل حالما يعود الى الجزائر وكثر بينهم تداول المجلات والصحف التى تتحدث عن الثورة ، وتورد اخبارها بالتفصيل ٠٠ بل وكثر النقاش بينهم وبين المدنيين الفرنسيين الذين يلتقون بهم كل يوم احد ، حول الثورة ، حول حق الشعب الجزائرى فى ان يثور ويطالب باسترجاع ما اغتصب منه من حرية وكرامة ٠

ووجد بلخير جوابا لاسئلة طرحها على نفسه منذ ما يزيد عن ثلاث سنوات : لماذا اخرج من مسقط راسى فى هذه السن المبكرة ؟ لماذا لا اكسب من ثروات قريتى الجميلة الا كوخا حقيرا ؟ اهكذا كتب ان امارس وجودى ؟ هذا الوطن الكبير الثرى ، ما الذى يحرمنا منه ؟ ؟

وجد بلخير الجواب : الاستعمار هو الذى طردنى من جلفة الجميلة وهو الذى حرمنى من ثرواتها وحرم على وعلى الالاف من امثالى وطنى الكبير ٠ ؟ ٠ الجزائر ، الجزائر التى اقسمت على الالتحاق بجبالها حالما اعود اليها

لم تخف هذه الظاهرة عن الضباط الفرنسيين ، فلم يجدوا ايـة طريقـة لمقاومة هذا التيار المكتسح ٠٠ سجنوا البعض لكنهم لم يفعلوا سوى اثارة المشاكل والشغب من حيث لا يقصدون ٠٠ طردوا البعض الا ان ذلك لم يجد فتيلا ايضا ٠٠ لان المسالة ليست مسالة اشخاص انما هى مسالة روح ، مسالة عقلية ٠٠ مسالة وعى

فضطر الكومندان (ستيلان) الى ان يجمعهم ذات يوم ويقول من جملة ما قاله فى خطابه الطويل الذيل :

ــ ٠٠ اعرف ما فى رؤوسكم ، اعرف جحودكم ، اعرف عواطفكم ، انتم ثوار فى قلب المراكز العسكرية الفرنسية ٠٠ اعرف ذلك جيدا ٠٠ لكن الذى انصحكم به ، هو ان تحترموا غيركم ٠٠٠ لكم الحق والحرية فى اختيار افكاركم انما ليست لكم الحرية ولا الحق فى جرح عواطف غيركم ٠٠ لا تضطرونا الى القاء القبض عليكم جميعا ٠٠ احترموا اللباس الذى ترتدونه ، وحين تنتزعونه

وتستبدلونه باى لباس تشاؤون ، افعلو وقولوا ما يحلو لكم ٠٠ ما يخطر ببالكم ما ترونه لائقا

ولم يبق لبلخير حين نقل الى بروطان سوى شهر واحد ، ثلاثون يوما فقط ثم يسترجع حريته ، التى اصبح يدرك تمام الادراك قيمتها ٠٠ ويعرف جيد المعرفة ماذا سيفعل بها ، ثلاثون يوما فقط ، ثم ينزع الى الابد اللباس الذى يرتديه و طلب منه احترامه ، ويستبدله بلباس آخر يعرف من اى نوع هو٠٠ فقضى ذلك الشهر مدللا من طرف الضباط الفرنسيين ، عكس بقية زملائه الذين سخروا للقيام بالاعمال الشاقة ، وكان يعرف لماذا يدلله الفرنسيون ٠٠ اذ لا تكاد تمر ساعة حتى يعرض عليه احدهم ان يجدد عقد تطوعه ٠٠ ان يبيع نفسه مرة اخرى ٠٠ ان لا ينزع البزة التى يبغضها سنوات اخرى ٠٠ ؟ ؟ ٠٠

ـ البقية فى اعدادنا القادمة ـ

الكفـــاح

عـم نـور الصبـاح　　الـربـى والبطـاح
شمس يـوم جـديـد
هـا رفعنـا السـلاح　　وشهـرنـا الكفـاح
ضـد نيـر أثيـم
فـى طـوايـا المـدن　　فى القـرى والثكـن
فـوق ظهـر الصعيـد
قـد شهـرنـا الفتن　　لنـزيـل المحـن
والظـلام الأليـم
قـد تـركنـا ربـوعـا　　ومشينـا هطـوعـا
فـى الاكف الحـديـد
نحـن نعـدو سريعـا　　لنـزيـل الخضـوع
بـاسـم حـق عظيـم
عـم نـور الصبـاح　　الـربـى والبطـاح
معلنـا للكفـاح　　معلنـا للكفـاح
معلنـا للنجـاح
معلنـا للصبـاح

انـور سعـدى

الثـــورة

الى ابطال الحرب الجزائرية الذين استشهدوا في سبيل الحرية والسلام

يا أخي يا أخي لما الفقر والجو … ع لماذا الحياة في البأساء
ولماذا نعيش مثل خيالا … ت مضت في طريقها للفناء
بينما الغير من دخيل ومنا … ينعمون الحياة كالأمراء
في قصور تشاد فوق الشواطىء … شيدوها بدمعنا والدماء
شيدوها بمالنا أثثوها … من دموع الضعاف والفقراء
ينعمون الحياة فيها صفاء … في هناء ونعمة وازدهاء
في البساتين والرياض على الا … نهر ، وسط الحدائق الغناء
سيارات لهم تشق الطريـ … ـق سريعا ، كلمعة من ضياء
ونظل نطوف قارعة النهـ … ـج نمد الاكف للأغنياء
جوعونا وفقرونا وافنوا … بالرصاص الالاف كالاعداء
ان عيشا كعيشنا اليوم اثم … وسوانا يعيش في النعماء

* * *

غلة حرة فلا شيء يطفيـ … ـها سوى السيل من دم الشهداء
فتعال أخي سريعا وهيا … ولنثر ثورة على الدخلاء
ولنمت منهم الجموع فداء … حيث تسقي بلادنا بالدماء
شعلة النار في دجى الليل حمرا … ء تهد البناء اثر البناء
ثورة حرة فلا القتل يطفيـ … ـها ولا الكذب ولا الرياء
ثورة حرة يتوجها الفجر … بتاج الحرية الحمراء

انور سعدى

الوحدة التونسية الجزائرية وآثارها

ومـا لاقـت مـن احـداث

بقلم : محمد الهادى العامرى

الوحدة بين تونس والجزائر شقيقتها عريقة فى التاريخ لا يمكن ان نتحدث عن سائر اطوارها وآثارها ونتائجها بالدقة التى ينبغى توخيها لان البحث فى جذورها واعماقها يحتاج الى اسهاب من شأنه ان يتطلب المجلدات الضخمة ٠ وحسبنا فى هذه العجالة ان نستخرج العبرة ونجدد الذكرى ٠ والذكرى تنفع المؤمنين وتحرك الهمم الخاملة والعزائم النائمة الى النضال والكفاح وتهيب بها الى تدارك ما فات بعد ان عرفت الاخطاء وتوصلت الى اصل الداء لا سيما وهـذه الوحدة منذ القدم كانت شاملة للاقليم والجنس والدين واللغة ٠ ومن المتعذر ضبط اماد تاريخها المتغلغل فى احشاء الزمن فضلا عن الاحاطة به ٠ والواقـع ان اول من ابرزها وصيرها حقيقة ملموسة وجلاها فى اروع صورها واظهرها فى اجمل مناظرها واحكم نظمها هو الاسلام الخالد الذى وحد بين الصفوف ووجه القوى الى كل خير بل ما كاد يرسخ فى بلاد المغرب الكبير حتى توحدت فى اوج العزة جهود هذه الشعوب التى تهافتت على الاعتزاز بمكانتها واعتصمت بكرامتها وحافظت على استقلالها فى كبرياء وعزة اسلامية ، وبذلك تبوات اعلى مكانة فى العالم القديم وتذوقت الشمم بعد الانحناء والحرية بعد الاستعباد والطموح بعد الخمود واشربت قلوبها حب الاوطان بعد الزهد فيها واقامت للعربية وادبها سوق رائجة وسرعان ما اصبحت لغة التثقيف والدين والتاريخ وشارك التونسيون والجزائريون والمغاربة فى بث حضارة الاسلام فى جزر البحر الابيض المتوسط وجنوب اوربا ٠ وبالرغم عن حرص المسلمين الاولين على هذه الوحدة فقـد تسربت الى الادمغة فى القرن الثانى للهجرة نحل (خارجية) و (شيعية) واراء شاذة استطاعت ان تحد من حد الوحدة نوعا ما وتكون دويلات صغيرة بالجزائر وتونس والمغرب تحدث عنها التاريخ الى ان غمرها السيل الاعظم سيل العبيديين الذين استندوا الى هذين الشعبين فى تحقيق خطتهم الرامية الى توحيد العالم الاسلامى تحت رايتهم والقضاء على العباسيين بالمشرق فلاقوا كل اعانة من تونس والجزائر وانتفعوا بهذه الوحدة ايما انتفاع وقد استطاع العبيديون ان يحققوا بهذه الوحدة جميع اهـدافهم اذ كانت تمدهم بجميع الامكانيات الى ان بسطوا

نفوذهم على ارض الكنانة وقرروا النقلة اليها من المهدية سنة 362 هـ فكان الجزائريون والتونسيون فى الجيش والادارة والمدرسة هم المشرفين والمنفذين ومن تتبع كتب التاريخ فى اواخر القرن الرابع الهجرى بمصر يلمس هذه الحقيقة النيرة . فقد حل بمصر والشام واليمن من رجالنا الوف كانوا مناط الرجاء ومظهر العمل والنشاط . ولما انتقل العبيديون الى مصر من افريقية تلقف الحكم عنهم بافريقية او تونس ابناء زيرى الصنهاجي وزادت الوحدة بين تونس والجزائر استحكاما ومتانة على عهودهم التى انتشرت فيها الحضارة الافريقية الاسلامية اعظم انتشار وتضخم ذلك الملك المجيد تحت لواء الوحدة وانبت من كل زوج بهيج . ولما بلغت هذه الدولة الصنهاجية عظمتها واقتعدت غارب العز الاقعس وتوقلت ذرى العز ايام باديس بن المنصور المتوفى سنة 406 هـ منيت بالانشقاق والتفرق فثار حماد على ابن اخيه باديس واقتطع منه الجزائر ما بين جبل اوراس الى تلمسان واختط القلعة الحمادية بالجزائر المعروفة بقلعة بنى حماد الصنهاجي بجبل كتامه واستقل عنه . فكان ذلك بداية النهاية بعد العظمة والتحليق فى آفاق السعادة وانتشار افانين الحضارة وضخامة السلطان واطراد الرقى . وآل هذا النزاع الاثيم بين العم وابن اخيه بتونس والجزائر الى تصدع خطير وتخلف فادح وشقاء بالغ وعناء مؤلم تجرعت هذه الشعوب فيما بعد مرارته وتذوقت الوان البؤس والتعاسة من جرائه وآلت الحالة فى القرن السادس الهجرى الى انقسام شائن وتصدع مخيف اعاد به الثوار بافريقية شقيقتها عصر ملوك الطوائف بالاندلس وتكالب الزمان على شواطىء الجزائر وتونس وهددوا البلاد بالاحتلال . وكان الزمن يتمخض عن امبراطورية اسلامية افريقية وفعلا دفع بالامبراطورية الموحدية التى دعا اليها المهدى بن تومرت المتوفى سنة 524هـ ودعم اركانها وابرز كيانها واعلى مكانها عبد المؤمن بن على المتوفى فى سنة 658 فوحدت من جديد بين شعوب المغرب الكبير بما فى ذلك طرابلس وبرقة وشبه جزيرة الاندلس توحيدا عتيدا كان فى شرخ امره وعنفوان فتوته يقوم على دعائم حصيفة وسنن حكيمة وانظمة رائعة لم يتمكن المؤرخون من درسها الى الان وبذلك حفظت الوحدة بين هذه الشعوب زمنا وتعاظمت الصلة الثقافية والاقتصادية والعسكرية لابعد حد الى ان انحرف الخلف من ابناء عبد المؤمن عن الجادة وآثروا شهواتهم على الحكمة واتخذوا الهوى رائدهم وتنكروا لكل صالح فاخذت الوحدة تتصدع اركانها وينتثر عقدها شيئا فشيئا فاعلن الحفصيون استقلال تونس وقسما من الجزائر بجاية وقسنطينة وبون وما اليهما عن الامبراطورية الموحدية على عهد ابى زكرياء

يحى بن عبد الواحد الحفصى المتوفى سنة 647 هـ . والتهم الحلل الامبراطورية الموحدية واخذ يتحيفها من اطرافها فكان الحفصيون يغرون بهما الشعوب الخاضعة لنيرهم ويمدونهم بالمال والعتاد وفى طليعتهم بنو مرين الذين استطاعوا فيما بعد ان يجهزوا على الامبراطورية الموحدية ويقضوا عليها القضاء المبرم سنة 674 هـ . باحتلال عاصمة عرشها مراكش باعانة الحفصيين الذين تنكروا للمستضعفين من ابناء عبد المؤمن العابثين وكان الحفصيون بتونس آنذاك يتوقلون اعلى الذرى فى افاق العظمة والمجد والمرينيون يدينون لهم بالطاعة ظاهريا يسرون حسوا فى ارتغاء الى ان تمكنوا من البلاد . واخذ الحفصيون فى الانحدار من علبائهم فادركهم ما ادرك الصنهاجيين من التفرقة والانقسام حول انفسهم فستقل قسم منهم بثغور الجزائر وبقى القسم الآخر بتونس فى اواخر القرن السابع للهجرة فتمزقت الوحدة التونسية الجزائرية من جديد وعانى التونسيون والجزائريون الآمَ ودفعوا ثمن هذا الاستهتار بين الحفصيين غاليا .

وبدا لبنى مرين ان يستعيدوا هذه الوحدة من جديد بما لديهم من امكانيات خطيرة عسكرية وثقافية واقتصادية فاقبل ابو الحسن المرينى على تونس ، يجر وراءه الدنيا بما حوت واعلن انضمامها الى الوحدة من جديد . ولكن هوج السلطان ابى الحسن وافلاسه فى ميدان السياسة جره الى ارتكاب اخطاء كانت وبالا عليه وعلى قومه بعد ان حاول ان يجعل للعلم بالشمال الافريقى دويا هائلا لا نظير له فى التاريخ حتى انه حمل معه الى تونس اربعمائة عالم من علماء المغرب للتعرف وربط الصلة بين علماء المغرب والجزائر وتونس ورحب به التونسيون وقال له اديبهم الذائع الصيت ابو القاسم الرحوى قصيدا بارعا جاء فيه :

اجابك شرق اذ دعوت ومغرب
فمكة هشت للقاء ويثرب

وناداك مصر والعراق وشامه
بدار فصدع الدين عندك يشعب

الى ان يقول :

وما تونس الا بمصر مروع
وفى حرم امست لديك تسرب

وما اهلها الابغاث لصائد
وبالعز منك استنسروا وتعقبوا

وقد كنت قبل اليوم كهف زعيمهم
فها انت كهف للجميع ومهرب

الى ان يقول :

تملكت شطر الارض كسبا وشطرها
وراثا فطاب الكل ارثا ومكسب

بجيش على الالواح والماء يمتطى
وجيش على الضمر السوابق يركب

وجيش من الاحسان والعدل والتقى
وذاك لعمر الله اغلى واغلب

فيا عسكرا قد ضم اعلام عالم
به طاب فى الدنيا لنا متقلب

واعليت قدر العلم اذ كنت عالماً
ففيه وفى طلابه لك مارب

وكم كاتب لاينكر الطعن رمحه
خبير بايام الاعارب معرب

فهاهو فى الاقوال واش محبر
وها هو فى الامثال ثاو مجرب

ومن ساحب بردا من العلم والتقى
عليه ذيول الداودية تسحب

وجاهدت فى الرحمن حق جهاده
فراهب اهل الكفر باسك يرهب

اخفق ابو الحسن على المرينى فى اعادة الوحدة شر اخفاق واطرد من تونس شر طرد بعد ان هزم شر هزيمة سنة 750 وقد تصدعت الوحدة التونسية الجزائرية من جديد وبقى قسم من الجزائر يعيش مع تونس متحدا معها الى حلول القرن العاشر الهجرى حيث تكاثرت الاحداث واستهدفت المملكة الحفصية للغارات الاجنبية وظهر الاسبان بتونس والجزائر يقض مضاجع سكانها ويعبث بها فسادا وتفرقت القوى ونامت هذه الشعوب فى ميادين الجلاد وعبثت بهم يد الجلاد وكاد الياس ينسف ما بقى من آثار نفيسة وآمال فى المستقبل ضئيلة لا تكاد اشعتها المتضائلة تضىء شيئا من آفاق الرجاء فى مستقبل تونس والجزائر وعلى العكس من ذلك المغرب الاقصى ٠ فقد تمكن السعديون بثورتهم الدينية

وبواسطة الهاب الشعور المتخدر وموالاة الدعاية للانقاذ فكان لها ابعد الاثر فى النفوس التى امتشق اصحابها الحسام ووقفوا فى وجوه خصومهم من البرتغال وقفة رددت صداها التواريخ كانت نتيجتها اجلاء الاعداء عن المغرب بارهاف الحد لهم فى النضال . وتحرك الاتراك وهم آخر الشعوب الاسلامية ظهورا فى الميدان السياسى العام الى هذا المغرب يحدو رعيلهم الامل حب الغنيمة ومدافعة الاعداء وتدفع بهم الغيرة الدينية الى الانقاذ فبسطوا سلطانهم فى القرن العاشر الهجرى على الجزائر وتونس وطرابلس بعد ان اطردوا الدخيل منها وفتكوا بالاسبان بتونس سنة 981 هـ وعوض ان يوحدوا بين هذه الشعوب ويعيدوا لها مجدها الغابر مزقوها واهملوها وقسموها وتركوها غنيمة باردة تتهارش عليها رؤساء الانكشارية ويعيشون بها فكانت ادارتهم شوما وسلوكهم سيئ واصبحت هذه الاقطار على عهودهم ميادين فوضى وكان عصرهم عصر تقهقر وانحطاط عام خفت فيه كل صوت وانطفا فيه كل اشعاع ثقافى وبذلك مهدوا للمستعمرين الذين كانوا آنذاك فى يقظة ان يقتحموا الجزائر وان يتربصوا الدوائر بتونس والمغرب ويهتبلوا الفرص ما دامت الاعين نائمة والاوهام سائدة والتفرق على اشده والجهل ضارب بجرانه والشعوب لحم على وضم فتم لهم فى هذه الظروف القاسية ما ارادوا من استيلاء على هذه الاقطار وعبث بامممها واستعمار لامكانياتها وتمزيق لوحدتها وتمثيل بأهلها وتنكيل بمناضليها الى ان تحركت صارخة وثارت هائجة واعولت مستنجدة وانبرت مجاهدة فتخلص جانب عظيم وآلت هذه الشعوب التى وحدها الدين واللغة والتثقيف والتربة ان تخلص البقية من الخصم مهما عتا وتطرده من الاوطان مهما تجبر وطغى

ومن يعش ير وبعدئذ يراب الصدع ويجتمع الشمل وتعود الوحدة باذن الله

محمد الهادى العامرى

شاعر جزائري ثائر

محمـــــد ذيـــــب

بقلم : البشير بن سلامـة

عرف قراء هذه المجلة محمد ذيب قصاصا جزائريا بارعا صور حياة مواطنيه في حيرتهم واحزانهم وفقرهم وبلائهم ، وصورهم ايضا في ثورتهم العارمة واستبسالهم العنيد ونشدانهم للحرية والانطلاق • لقد عرفوه من خلال قصصه المعربة عن اللغة الفرنسية فلمسوا فيه ذاك الجزائري الذي وعى نفسه ووعى شعبه فمضى يتحدث عنه في نفس شاعرة : هادئة طورا وثائرة اخرى • ولعلهم لاحظوا ان هذا القصاص الشاب الذي فتح فتحا كبيرا في الادب الجزائري الناطق بالفرنسية قد وصف الاشخاص وتحدث عن الاشياء في صور توحي وتلهم وتترك القارىء يسبح في مجالات الخيال الفسيحة • فليست قصصه اذن مجرد وصف او استعراض لبعض الاحداث بل هي مجموعة من الصور الشعرية المتكاملة الموحية الملهمة ، اذ ان الحدود بين القصة والشعر لا وجود لها ، وان كان في القصة بدء وانتهاء وحركة وتطور ففي طياتها ما يوحي ويلهم، ولن تكون القصة قصة باتم معنى الكلمة الا اذا تركت للقارىء مجالا للانطلاق والتحرر والتخيل والا فهي صورة فوتغرافية لا غير • فلا غرو اذن ان يكون آخر ما ظهر من انتاج هذا الاديب مجموعة من القطع الشعرية

ظهر هذا الكتيب الصغير في اوائل سنة 1961 وقد نشرته دار « قاليمار » وقدم له الاديب الفرنسي المعروف « اراقون » مدير جريدة « الآداب الفرنسية » الاسبوعية وعنوان هذه المجموعة الشعرية : الظل الحارس Ombre Gardienne وهو يتكون من قطع قصيرة يمكن ان نجزئها الى قسمين كبيرين : القصائد التي قيلت في الجزائر والقصائد المستوحاة من المنفى اي عند اقامة الشاعر بفرنسا ولعل شاعرنا احس بأن القسم الاول من الكتاب وعنوانه : الظل الحارس هو اعز ما لديه فاطلق على المجموعة كلها هذا العنوان • ففي القصائد الاولى نجد الامل ينبثق من اليأس والليل الذي يتبعه النهار والظلمة التي يعقبها النور بينما نلمس في القسم الثاني من الكتيب مرارة الحيرة ومدى الاسى والحزن الذي تركه في نفسه بعد الشقة ونزوح الدار • ويظهر ان القسم الاول يعبر عن الثورة،

فما الظل الحارس الا هذه الثورة العارمة، الحبلى بالآمال والايام الزاهرة. فلا نجد حديثا الا عن الجبل والانحدار من الجبل والليل المظلم القاتم وما يتبعه من فجر بَسم ونور ملهم ولا نجده الا متحدثا عن النساء وهن خائفات معتكفات فى الديار لا يخرجن منها وقد محت الرياح والامطار آثار اقدامهن من الطريق : فلا ذكر عنده للرجال، كأن هؤلاء قد تركوا ديارهم وابتعدوا عن نسائهم ليقوموا بالثورة البناءة . فالظل الحارس هو رمز ــ اذن ــ لهذه الثورة ولعل احسن قطعة تصور هذا كله هي: فى الارض تائهة: Sur la terre, errante وقد حاولت تعريبها فى نظم اخشى ان يكون هزيلا ولكنه متحتم اذ ان محمد ذيب وان توخى الشعر الحر فاننا نلمس فى قطعته موسيقى قوية وايقاعا بليغا وحتى القافية التى لا تظهر الا عند التعريب : فنجد مثلا كلمة : bœufs اى بقر تزن مع arbres اى شجر او huttes : اكواخ مع Cri صراخ والامثلة من هذا القبيل كثيرة تمكن الدارس من القيام ببحث طريف .

فى الارض ، تائهة

حينما الليل البهيم ينكسر
احمل الدفء على الشم الحداد
اخلع الثوب اذا الصبح انتشر
مثل انثى قد افاقت من سهاد
ثم مالت ترتضى ماء طهر

**

بلدى ، كنهه ناموس عجب
تعتق الانفاس فيه وتجول
يخفق الزيتون فيه بلجب
حولنا ، اذ بى اغنى واقول :

**

ايه ارض وجهها طرا صهر
ايه ام فى الاخا حتما تجارى
بنتك ،
بالوحدة
لا تستقر
مع زمان يخدش القلب مدارى

اسمعی صـوتی یجـوس فـی الشجـر
یجعـل الابقـار تمـضـی فـی الحوار

*

صبـح ذا الصیـف تبـدی وتجـلی
هـو اوهـی مـن سكـون وهـو ابـلی
وانـا اشـعـر انـی مـثـل حبـلی

الـنسـا ـ ،
ایتها الام الاخا ،
ینتظرن صرختی ـ
فی كل كوخ

*

الـنسـا ـ ،
ایتها الام الاخا ،
ینتظرن صرختی ـ
فی كل كوخ

*

قیل لی لم ،
هكذا انت لم
تـنـقـلین الخطـو مـن بـاب فـبـاب
فـی ارتیـاد مثـل زوج طـالقـه
تـصـرخـین فـی ذهـول تـائـهـه
عـنـد مـا انفـاس فجـر تـنـتـظـم
سـائـرات جـنـائـلات بـالهـضـاب

*

یا جـزائـر !
انـنـی لست سـوى
ربـمـا ابـسـط ربـات الحـجـال
ان صـوتـی لا یـكـف ابـدا
عـن منـاداة سـهـول وجبـال

*

ايـه زوجـات الاخـا ، فـي كـل دار
مهبـطـي اوراس فـافتحـن الـديـار
عسلا هـاتـوا وخـبـزا مـن شـعـير
ثـم مـاء صـافـيـا عـذبـا نـمير

***

هـا أنـا جـئـت أعـود وأزور
ومـعـي كـل هـنـاء وسـرور
بـه تسعـدن جميـعـا والصغـار

فـلـيـزيـدن نـمـا كـل ولـيـد
ولتفتـق ارضكـم قمحـا جـديـد
وكـذا فليخـتـمـر خـبـزا يـزيـد

لا عـدمتـن مـن الخيـرات شيـئـا
واحـطـتـن هـنـاء سـرمـديـا

المسرح في خدمة المغرب العربي الكبير

بقلم : حسن الزمرلي

لقد استعمل الاخصائيون فى الفن المسرحى ، ومن اهتم بـه من فلاسفـه ومؤرخين • وادباء ، ونقاد • واصحاب المعاجم والقواميس ، عبارات عديدة ، مختلفه للتعريف بهذا الفن ، باعتبـار المنظار الذى ينظر بـه كل منهم اليه • فالفلاسفة يقولون انه « **محل النسيان** » اى المكان الذى يؤمه الناس لينسوا فيه مدة بضع ساعات اتعاب يومهم وهموم غدهم ، ويقول المؤرخون انه « **معبد قد تطور** » تلميحا الى ان الفن المسرحى خرج من الطرق الدينية ومن الحفلات التى كانت تقـام بالمعابـد الوثنية لتمجيد الآلهة ، او من كانوا يسمونهم بالابطال بذكر امجادهم فى ملاحم واذكار ترافقها اناشيد وانواع من الرقص والموسيقى • ويسميه الادباء « **بالعالم الصغير** » الذى تجرى فيه حوادث منقولة عن الحوادث التى جرت ، او تجرى ، او من شأنها ان تجرى فى « العالم الكبير » ويقول رجال المسرح من مؤلفين ، ومخرجين ، وممثلين ، ونقـاد ، انه « **مخبر توجيهى** » تدرس فيه فنون البلاغة، والتعبير بالحركة والملامح عن الانفعالات النفسية، بتطبيق نص كتب لهذه الغاية • وتقديمه فى اطار مناسب يتجمع فيه كل ما يلزم من وسائل فنية وآلية لبلوغ ذلك الهدف •

ولئن اختلفت هذه التعاريف فى ظاهرها • فانك تجد فى جميعها ما يكسبك فكرة شاملة عن الفن المسرحى • لان كل واحد من هؤلاء المفكرين نظر اليه فى ناحية من نواحيه

واذا اختلف الفنيون فى الطرق الواجب اتباعها لابراز هذا الفن على وجهه الاكمل ـ بقدر الامكان • لان الكمال الفنى غاية لا تدرك ـ فانهم على كل حال مجمعون على ان اعمالهم، وجهودهم، وابتكاراتهم موجهة كلها نحو غرض واحد، وهو ارضاء ذلك العنصر الذى لا وجود بدونه للتمثيل ، ولا للفن المسرحى ، وهو جمهور النظارة • ذلك « الحيوان المخيف ذو الالف رأس والالفى عين التى تبصرك فى الظلام » • وترقب فى صمت حركاتك وسكناتك • ذلك الجمهور الذى دفع لك ماله واتاك طالبا منك ان ترضيه بخلق حياة وهمية تتملك بها على عواطفه وشعوره وحتى على وعيه وفكره مدة بضع ساعات •

وقد اجمع هؤلاء الفنيون ايضا على انه لا سبيل الى بلوغ هذه الغاية الا اذا اهتدوا الى معرفة ما يحرك عواطف ذلك الجمهور ، وشعوره ، ويتملك على فكره واذا ادركوا هذه الحقيقة القارة وهى انهم يختلفون كل الاختلاف عـن مـؤلف القصة لانهم يخاطبون جمهورا من الناس فى حين انه يخاطب افرادا ، ولان طرق اثارة الحماس فى الجماعة ، والتأثير على الجماعات بما يضحكها او يبكيها غير طرق اثارة حماس الافراد وابكائها واضحاكها •

والجماعـات تهتز وتتـأثر بما يفيق فيهـا ذكـرى اشياء تلـذ لهـا اعـادة رؤيتها ، او تصويرها امامها بطريقة ملموسة ، وبما يستفز شعورها او يثير حماسهـا مـن حـوادث عـرفـوهـا بالحكيـة او عـاشوا فترة منهـا فى ماضيهم القريب ٠

وجميع المسارح القديمة من مصرية وصينية ، وهندية ، ويابانية ، ويونانية نجحت وتقدمت ، ولاقت فى بلادها اقبال الجماهير ، واحرزت على رضاها لانها عملت طبق هذه المبادىء القارة التى ليس بدونها للفن المسرحى معنى ٠ فكانت المـواضيع دائمـا مستوحـاة من واقـع الامـم ومن عاداتهـا وعقائـدهـا وتقاليدها وحياتها الاجتماعية والسياسية ٠

وفى النصف الاول من القرن العشرين ، هذا القرن الذى تحورت فيه وجهات نظر الامم ٠ واخذت كلها تعمل فى سبيل التقدم والانطلاق ، فى هذا العصر الذى شوهدت فيه حروب عالمية وجهوية عنيفة هزمت فيها امم ما كان لها ان تهزم ٠ وانتصرت امم ما كان لها ان تنتصر رأينا المسرح يعمل عند البعض لاستنهاض الهمم، ومقاومة اليأس الذى اعترى الامة عقب هزيمة نالت من عزتها او كرامتها ٠ وعند البعض رأيناه يعمل لمقاومة الانحلال الذى اصاب الامة لما فوجئت بنصر لم تكن لتحلم به حتى فى المنام ٠

وفى الفترة الحالية التى يعيشها عالمنا العربى ، وخصوصا مغربنا العربى الكبير ، فقد شاهدنا ونشاهد محاولات مشكورة من طرف رجال الفكر والقلم ففى ايام المحنة الكبرى ، حين كانت البـلاد العربية باجمعها تئن تحت نيـر الاستعمار بمختلف انواعه وطرقه ومظاهره ، رأينا فى لبنان ، وسوريا ، ثم فى مصر وتونس ، ثم فى الجزائر والمغرب الاقصى ، اناسا يفتحون كتب التاريخ ويستوحون منها عبرا يصبونها فى قوالب مسرحية تذكرنا بمجدنا التليد وماضينا المجيد ، فيذكون فينا نار الحمية العربية الاسلامية ٠ ويوقظوننا من سبات الجهل واليأس والاستسلام ، وينفخون فينا روح الوطنية ، والحرية ، والشهامة والاباء ٠ ويقول لنا شاعرهم :

وانفث بهم روح الكـرور على الـوغـى

فـالحـرب اولـهـا نـداء الشـادى

فمسرحيات صلاح الدين الايوبى ، وفتح بيت المقدس ، وابى الحسن المغفل ، وفى سبيل الوطن ، وطارق بن زياد ، والمامون ، وزيادة الله الاغلبى ، وحنبعل ، والكاهنة ، وفتح الاندلس ، وفتح افريقية ، والواثق بالله الحفصى وغيرها كان لها فى نفوسنا اثر لا ينكر ٠

اما الآن ، وقد تحررت بلادنا ، ولم يبق للاستعمار فيها الا بقعة واحدة من تراب مغربنا الكبير ، ولم يبق متشبثا الا ببقاع محدودة من الجمهورية التونسية والمملكة المغربية العتيدة ، فان الادباء والكتاب بصورة عامة ، والمؤلفين المسرحيون بصورة خاصة ، قد شمروا عن ساعد الجد والعمل من جهة لاعانة زعمائنا وقادتنا وجنودنا البواسل على ابقاء نار الحمية في نفوسنا واشعالها في نفوس الراكدين والمتشككين من جهة وعلى نشر قضيتنا الحقة والتشهير باعمال المستعمر الغاصب في جميع انحاء الدنيا من جهة اخرى ٠

ويرجع الفضل هنا الى عنصرين قاما بواجبهما احسن قيام ٠ واديا رسالتهما على الوجه الاكمل ، هما الاذاعة من جهة والفرقة الجزائرية للتمثيل العاملة تحت اشراف جبهة التحرير الوطنية من جهة اخرى ٠

فأما الاولى – اى الاذاعة – فأنها لم تال جهدا ، في جميع البلاد العربية – وحتى في غيرها من البلاد التى ترمق حركتنا بعين التشجيع والرضى – وخصوصا الاذاعة القومية التونسية – من تقديم مسرحيات تتقد حماسا ووطنية ، تبسط فيها وجهة نظرنا ٠ وتدافع بحماس عن موقفنا سواء في القضية الجزائرية ، او قضية بنزرت القائمة الآن بيننا وبين فرنسا ٠ وكلنا يعلم ان التمثيل الاذاعي ، وان كان منقوصا بالنسبة للفن المسرحي اذ لا تتمتع به جميع الحواس له مفعول عظيم لانه يرفع صوته على امواج الاثير الى اقصى ما يمكن من بلاد العالم ، ولانه يدخل الدور والاندية والمقاهي ويفرض نفسه حتى على من كان بارد الاحساس او ضعيف الايمان ، فبوقظه من سباته ويثير شعوره ويستفز حماسه وان لم يكن وسط جمهور من الناس ، كما هي الصورة في المسرح

واما الثانية – اى الفرقة الجزائرية – فانها تعمل تحت ادارة رجل خبير بالفن المسرحي ، يحمل ثقافة واسعة ٠ وله معرفة جيدة بالاخراج ، وهو الاستاذ مصطفى كاتب ، كما لها مؤلفوها المقتدرون ، وممثلون من الفحول ، ومصورون للمناظر ٠ واخصائيون في الانارة ، وموسيقيون بارعون ٠ وهي تنشر دعوة القضية الجزائرية بايمان صادق وعزيمة ثابتة لا تعرف الكلل ، ومن فن رفيع بعموم البلاد العربية ، وحتى غير العربية ٠ وهو لعمرى عمل يضاهي عمل الزعماء الابرار الذين يقاومون في الميدان السياسي ، والمجاهدين الابطال الذين يذيقون المحتل الغاصب مر العذاب ولا يدعونه لحظة واحدة يتمتع بالحياة الهادئة او يتذوق الى طعم الراحة ، وكل ميسر لما خلق له ٠

والى جانب هذين العنصرين الاصليين ، فان الكاتب العبقرى « كاتب ياسين » الف وما زال يؤلف مسرحيات باللغة الفرنسية مسرحيات اخرجها ويخرجها افرنسيون على مسارح فرنسية ، عالج فيها فلسفة حياة المجتمعات وطموحها الغريزى الى الحرية والاستقلال ٠ فهو ايضا يساعد بسلاحه هذا ، اى باستخدام الفن المسرحي ، على ازاحة الاجنبي عن بلاده لتستعيد عزتها وكرامتها السالفتين

والجمعيات التمثيلية التونسية التى تعمل الآن فى حرية شاملة ، بعد ما تخلصت من عذاب الرقابة الاجنبية ، لا تترك فرصة للتشهير بأعمال القمع والتنكيل الصادرة عن رجال الاستعمار بشقيقتنا الجزائر · فهذه فرقة انصار المسرح تقدم منذ ثلاث سنوات ، امام قاعات مغتصة بالجماهير ، على اختلاف انواعها ، مسرحية « جميلة بوحيرد » التى كتبها الهادى القرجى · وهذه فرقة بلدية تونس تقدم فى عدة حفلات مسرحية « الفدائى » لمحمد المرزوقى وهى قطعة يستعرض فيها اطوار المقاومة التونسية ويصرح بأن استقلالنا لا يكون كاملا ، ووحدة مغربنا العربى الكبير لا تتحقق ما لم تتحرر أختنا الجزائر ، موطن صناديد الاوراس ، وابطال سطيف ، وسكيكدة والجزائر ووهران وتلمسان

وبهذا يتضح ما للمسرح من اهمية كأداة ثقافة حية ، ووسيلة دعاية فعالة ومخبر توجيهى لتهذيب الاخلاق ونشر كلمة الحق · وتوحيد صفوف المواطنين حول مبادئهم السامية · واهدافهم المقدسة ، وقادتهم المخلصين

فالمسرح ليس بمحل النسيان فحسب ، بل هو كل ذلك فى آن واحد

ولهذه الاسباب كرسنا حياتنا فى سبيل نشره فى بلادنا ، وعملنا ومـا زلنا نعمل لترقيته الى المستوى اللائق به وبنا حتى يكون مرآة صادقة ينعكس عليها واقعنا المغربى العربى الاسلامى ، وحتى يكون اداة فخر لنا لدى غيرنا من الامـم ·

ولهذه الاسباب اسسنا له المدرسة التى تحورت الآن فى بلادنا المستقلة الى فرع كبير من المعهد القومى للموسيقى والتمثيل والرقص ·

ولهذه الاسباب ندعو لخدمته جميع المثقفين من رجال ونساء ليعملوا بحقله فى جميع الفروع من تأليف وتمثيل واخراج

فالمسرح عنصر لا استغناء عنه فى امة تحترم نفسها ، وتقاوم ما فيها من تخلف لتنطلق نحو الرقى والازدهار وتساير ركب الامم المتقدمة كما يردد ذلك صباح مساء زعيمنا الاكبر وقائدنا الاوحد ·

حسن الـزمرلى

الحبيبــــــــة المنسيـــــــــة

قصــة بقلم ابــو العيــد دودو

لم يكن ليخطر بباله انه سيشعر بالوحدة فى مدينة كبيرة كمدينة فيينا • فقد كان فى اعتقاده ان الحياة بكل وهجها وروعتها تتمركز فى المدن الكبيرة المزدحمة ، فهى فيها سخية كريمة معطاء تقدم كل يوم ، بل كل لحظة ، شيئا جديدا له طابعه الخاص وصفاته المميزة ، وما على المرء الا ان يختار من ذلك كله ما يلائم مزاجه وطبيعته وهواه • لكن يعلم ان للحياة ايضا زحامها الخاص ، فقد خبر ذلك بنفسه وعاشه غير مرة ، ولكن نقطة الصراع فيه لم تكن تتعدى قرقعة ذاته • ومن ثم ظن ان الحياة فى مدينة اروبية لا تعدو ان تكون تحررا وانطلاقا من الصراع الذاتى والرتابة النفسية التى لزمت حياته منذ مدة طويلة • ولكنه كان واهما فى اعتقاده ، ولم يكن يصرفه عن هذا الاعتقاد حتى علمه سلفا بان ذهابه او سفره الى اروبا كان مجرد مغامرة قد يحالفه النجاح فيها وقد يفشل •

ولعل وصول القطار به الى المحطة الجنوبية كان نفسه دليلا على خطا اعتقاده• فاليوم الذى وصل فيه لم يكن مسرا مبشرا بخير • فان برودة الصباح التى استقبلته عند نزوله من القطار ، يحمل بكلتا يديه حقيبتين اثقل منه ، قد اوضحت له مدى الفرق بين الشرق الذى جاء منه وبين الغرب الذى وصل اليه فقد كان الجو باردا الى درجة فظيعة مع ان الفصل صيف • ولذلك كانت ثيابه الخفيفة ترتج تحت هبوب الهواء البارد الذى كان يحس لسعه فى عظامه •وظهر له ان الشمس التى خلفها وراءه فى الشرق تلهب البشر باشعتها المحرقة بخيلة فى هذه البلاد ضنينة • فهو لا يلاحظ اثرها فى الوجوه الغريبة التى تمر به ولا تراه • ولسوء حظه انه لا يملك معطفا ، لانه لم يكن فى حاجة اليه طوال المدة التى قضاها فى الشرق العربى •

وتمـايل جسده بين الحقيبتين وهـو يسرع الى داخل المحطة ليحتمى بها من لسعات البرد • ووقف ثمة نصف ساعة يتطلع فى الوجوه الغريبة حوله • ثم تذكر ان وقوفه لا فائدة ترجى منه وان عليه ان يبحث عن غرفة ليتمكن من تغيير ملابسه ، فانه ليحس ثقل قميصه من كثرة الاوساخ التى تراكمت عليه خلال سفره الطويل • وهكذا ترك اغراضه فى المحطة وركب قاطرة اقلته الى مركز المدينة • وما ان امتطاها حتى احس بالوحدة والغربة • فقد اعتبر اللغة التى كان الناس يتحدثون بها امامه ستارا كثيفا يحجبه عن العالم الذى كان

يعيش فيه · وهناك بدأت الحيرة تستبد به وترهق وجدانه · لقد اعتاد ان يستمع الى اخبار الاحداث فى بلاده الثائرة · فيفرح تارة ويتالم تارة اخرى · لقد كانت أنباء الثورة وانتصاراتها الجليلة انيسه الوحيد فى غربته ووحدته ، وها هو الان يفقد هذا الانيس الحبيب !

كان يعلم ان له صديقا سافر الى النمسا قبله بسنة · ولذلك اخذ يسأل عنه الطلاب العرب بمجرد ان وصل الى مركز المدينة ، ولكنه لم يستطع الاهتداء الى مكان سكناه · وحين احس بالجوع والتعب دخل الى مقهى بطريق الصدفة ليستريح قليلا ويتناول شيئا ، ثم يستمر فى البحث عن غرفة يأوى اليها فى المساء او مكان ينام فيه حتى صبيحة الغد · ولكن مفاجأة سارة كانت تنتظره فى المقهى · فلم يكد يجتاز عتبة الباب حتى لمحه ، هو صديقه ، جالسا فى ركن من اركان المقهى يغازل فتاة شقراء · ولم يصدق عينيه فى اول الامر ، ولكن وجهه الاسمر وشعره الطويل المنفوش وشاربه الخفيف الاسود كل ذلك لم يدع له مجالا للشك · فاقترب منه بخطوات مترددة ، فقد خشى ان يزعجه وهو يتمتع بحديث صاحبته ، وقف على بعد اقدام منه ، ولكنه لم ينتبه اليه الى ان قالت له الفتاة شيئا لم يفهمه هو · وعندئذ التفت فرآه · واسرع اليه ، فسلم عليه وحياه فى حرارة · ثم اجلسه الى جانبه بعد ان عرفه على صاحبته الجميلة ·

وبعدئذ انطلق معها فى حديث طويل بلغتها هى · فتبين له من نظراتها اليه بين حين وآخر انه يحدثها عنه · واخيرا التفت اليه وقال مبتسما وكانه يعتذر له عن انصرافه عنه وانشغاله بصاحبته الحلوة ·

ـ ايه اخى ! كيف الحال ؟ وكيف حال الثورة ؟

فاجابه بصوت خجول كأنه هو الآخر يعتذر له عن عدم استطاعته الاجابة على سؤاله بتفصيل ودقة ·

ـ بصراحة · انى لا اعلم شيئا ذا بال عن تطوراتها الاخيرة · فقد انقطعت عن تسقط اخبارها خلال مدة سفرى التى استغرقت اكثر من اسبوعين · ولكنى اظنها بخير · فهى ولا شك سائرة من نصر الى نصر فى طريقها التى رسمها لها بناتها الاباة · و ···

كان يريد ان يستمر فى حديثه ، اذ لم يكن ثمة شىء احب الى قلبه وارق لسمعه من الحديث عن الثورة وابطالها الاحرار ، ولكنه توقف عنه عند ما رأى صديقه يقبل فتاته وهو ينظر اليه من جانب كانه يحثه على الاستمرار فيه ·

فابعد نظره عنهما وهو يقول له مازحا ٠
ـ لعنة الله عليك ! اما تستحي !

فنظر اليه وقال وهو يضم صديقته الى صدره ضاحكا ٠

ـ ممن يا ترى ؟ انني في اروبا ولست في الشرق ٠ على رسلك يا صديقي ولا تستعجل ٠ فانك ستدرك معنى هذا فيما بعد وستتعلم هنا اشياء كثيرة وتأتي افعالا قد لا تروق لك الآن ، لانك جديد في هذه المدينة ٠ انتظر ٠٠٠ انتظر يا صديقي ٠ إظن انك لم تسمع بعد بليالي فيينا وجمالها وفتنتها ٠ لقد كنت انا ايضا خجولا عند ما جئت من الشرق ٠ ولكنى سرعان ما اكتشفت ان الخجل ضرب من الجبن ٠ انه احد اسباب الوحدة التي ٠٠

وقطع حديثه والتفت الى فتاته والقى اليها بكلمات اثارت ضحكها وسمع هو لها وشوشة غريبة ٠ وشعر بالخجل حين رآها تنظر اليه ضاحكة ٠ثم استمر صديقه في حديثه قائلا ٠

ـ اجل يا صديقي ٠٠٠ الوحدة التي تدمر وجود الغريب هنا وحياته ٠ وانت لا تستطيع انتطرد شبحها عنك الا باصطياد فتاة جميلة كصديقتيهذه لتنسيك وحدتك وتمنحك الدفء والزاد لمدة اسبوع على الاقل ٠

وعاد يضم صديقته ويزقها قبلا خاطفة فوق وجنتيها وجبينها وارنبة انفها وشفتيها مما اضطر صحبنا الى النظر بعيدا عنهما ٠ ولما انتهى منقبلاته قال له٠

ـ هذه هي الحياة هنا يا صديقي ٠ الا ترى ؟ اني اقبل صديقتي في المقهى ولا احد ينظر الي او يهتم بي ٠ انت حر هنا تستطيع ان تفعل بصيدك ما تريد ، فهو ملكك ولو لمدة وجيزة ٠ ان هذا شيء عادي لا غرابة فيه ٠ وباختصار ٠ اني لم اعد اخجل من اية فتاة مهما كان طرازها ونوعها ٠ وبوسعي ان اغازل اية فتاة شئت سواء اجابتني او لم تجب ٠ وانا متيقن بانك ستفعل ذلك ايضا في يوم ما ٠ لا سيما عند ما يشتد خناق الوحدة والقلق عليك ٠ ولا تظن انك ستجد هنا صديقا يلازمك على الدوام ، فانه ليس من الضروري ان يكون الصيد جماعيا ولهذا فالاحسن ان تعتمد على نفسك وتتسلح بالجرأة والاقدام ٠

كان يصغي الى حديثه مستغربا وهو لا يكاد يصدق شيئا مما يسمع ويرى ٠ ولم يحاول ان يعترض عليه ، لانه لاحظ ان صديقه يتحدث عن تجربة و خبرة واقتناع ، ولذا تركه يتكلم ما طاب له الكلام ٠ وانطلق في اثناء ذلك يسارقها، هي الفتاة ، النظر ويتأمل ملامحها وقسمات وجهها تأملا متقطعا ٠ حقا لقد كانت

جميلة جذابة ٠ كان شعرها الذهبي يتمسح بجيدها الرخامي ، وكان حاجباها الرقيقان الاسودان مرتفعين قنيلا مما جعل اهدابها تبرز كالسهام المتوترة ٠ اما عيناها فكانتا ذات سواد مصطنع ولكنه مغر أخاذ ٠ ولم تكن ، حسب تقديره ، تتجاوز الخامسة او السادسة عشرة ٠ وكان الصليب الشهيد يتدلى فوق البراعم المتوثبة ٠

ولما عاد صديقه الى مغازلة فتاته قال له ونظراته تائهة تحت المائدة ٠

ـ قد تكون على حق فيما قلت٠ ونكنى لا اهتم بكل هذا٠ فقد جئت هنا لمواصلة دراستى وما عدا ذلك فهو هباء بالنسبة لى ٠

فاسرع يقول له :

ـ انتظر ٠ وسترى ! ان ذلك لا يعوقك عن دراستك اذا لم تقع فى حب فتاة ما ٠ فكن حذرا ٠

ـ اذا فالاحسن الابتعاد عن ذلك والاستعاضة عنه بالتحصيل والدرس المجدى٠ ثم قل لى ٠ هل وقعت انت فى حب فتاة ؟

ـ فى البداية نعم٠ أما الآن فانى كدت انسى ما هو الحب٠ ولعل هذه الحقيقة ستنكشف لك ذات يوم ٠ فمظاهر الحب هنا كلها زائفة ٠

وقال له يمزحه ٠

ـ عليك اللعنة ! يبدو لى انك تخليت عن كل ما هو شرقى ٠

ـ اجل ما دمت اقيم هنا على الاقل ٠ والآن استميحك عذرا ٠ ساوصل الفتاة الى بيتها ثم ارجع اليك ٠ انتظرنى هنا ٠

وبعدها قام وقامت معه فتاته ٠ وودعت صاحبنا ٠ وحين تناول يدها يصافحها تلفظت بكلمة سمع لها صفير لعلها كانت تعنى اللقاء او شيئا آخر من هذا القبيل ٠٠وبقى وحده فى المقهى ٠ فطلب شيئا يأكله ، فقد احس بامعائه تصرخ وتتلوى فى بطنه ٠ وما ان رجع صديقه بعد ثلاثة ارباع الساعة ، حتى كان هو قد اكل وشبع ، ولم ينس فى اثناء ذلك ان يتخذ قرارا بشان كلامه : ان له افكارا واهدافا يسعى الى تحقيقها بكلما فى وسعه منجهد وطاقة ، وفى احداث بلاده ما يغنيه عن زيف هذه الحياة التى يحياها صديقه ٠ وعلى هذا فالاحسن له ان يتجنب الحديث معه فى هذا الموضوع ٠ انه من بلد عربى آخر قد لا يكون عانى الظلم بالقدر الذى عاناه ويعانيه بلده هو واذا فهو

عاجز عن ادراك عظمة المشاعر التى تمور فى اعماقه • ليته يجد هنا احدا من ابناء بلده !

وذهب معه يبحث عن غرفة • ومن حسن حظه انه عثر على غرفة مناسبة فى نفس اليوم • ورافقه صديقه الى المحطة لجلب اغراضه•وحين كان راجعا منها التقى بشابين لم يشك عند رؤيتهما فى انهما من ابناء بلده•كان احدهما طويل القامة والآخر قصيرها • منذ قيام الثورة فى بلاده اصبح قلبه ينبض بحب كل مواطن يشاركه فى احساسه بعطاء الثورة الخالدة • فدفعه حبه هنا الى التعرف عليهما ، ولم يكن مخطئا فى ظنه فقد كانا حقا من بلده • وغمرته موجة من الفرح الفياض • لقد وجد اخيرا من يستطيع فهم احاسيسه بعمق ، ولكنه اصيب بصدمة كادت تزلزل كيانه • فما ان اخبرهما انه من قسنطينة وسالهما هو بدوره عن المكان الذى ينتسبان اليه حتى ترددا فى الجواب وطفق احدهما يسأل الآخر عن بلدته • ومن يدرى لعلهما شكا فى امره وظناه جاسوسا فلم يريدا اخباره بالحقيقة • هو والجاسوسية !ياللغرابة ما يعتقدان ! واحس بابتسامة باكية تـرتاح على شفتيه وابتعـد عنهما فى خيبة وفشل والالم يخز اعمـاقه فى وحشية •

وبعد ان وصل الى غرفته تركه صديقه معتذرا بان له موعـدا آخـر مع فتاة اخرى • ولم يره منذ ذلك اليوم • وهكذا اقبل على حياته الجديدة يعيش مـع احداث بلاده عبر الاخبار التى يحملها اليه المذياع والجرائد التى تصله من الجبهة ولم يكن يشغل باله سوى تعلم اللغة • فقد آلمه الا يفهم حديث الناس معه • ولم يكد يجد الوقت لاى شىء آخر غير هذا وبعد مضى ثلاثة اشهر على وجوده فى فيينا اصبح فى وسعه الحديث باللغة الجديدة ، ولكن فى عناء غير قليل • وذات يوم تعرف على شاب لبنانى كان يسكن على بعد امتار من مسكنه هو ، ولازمه مدة غير قصيرة فى البداية • فقد كانت له هو الآخر صديقة ، وكان كثيرا ما يذهب معهما الى المراقص ليتعرف على الحياة فيها ومظاهرها المختلفة • ولكنه فى النهاية قلل من اتصاله به ، فقد رآى فى ذلك اضاعة لوقته • ولم تمض الا ايام قليلة حتى زاره صديقه اللبنانى واخبره بان صديقته تركته فجأة وشكا لـه الآلام التى يعانيها من جـراء ذلك • فهو لم يعد يستطيع مواصلة دروسه • وظل يعذبه بهذا كل يوم تقريبا الى ان افهمه فى النهاية بانه ليس لديه الوقت لسماع شكاته باستمرار ، فان لديه واجبات لا بد له من ادائها • وهكذا قلل من زيارته له واصبح لا يراه الا نادرا •

وفى مساء يوم احد خرج صاحبنا يتنزه بعد ان شغل راسه كثيرا وارهقه

حتى احس به يغلي ويكاد ينفجر • وبينما كان مارا بحديقة كبيرة وجد صديقه اللبناني جالسا فوق مصطبة يبكي بدموع غزيرة • فاقترب منه ليسأله •

ـ نبيه ! ماذا جرى لك ؟ لماذا تبكي ؟

ـ لقد تواعدت مع فتاة تعرفت عليها امس ، ولكنها لم تأت • انى انتظرها منذ ساعتين ! تصور هذا ! ومع ذلك لم تأت ••• بنت الملعون !

ولم يسعه الا ان يضحك • وقال له :

ـ يفدح حريمك ! امن اجلها تبكي ؟ انك لا تزال صبياً ! انسيت انك في اوروبا ؟

وقال وهو يكفكف دموعه •

ـ وماذا افعل ؟ لقد احببتها بكل قواى • ومع انى قضيت معها امس اكثر من خمس ساعات فانى لم اشبع من النظر فى وجهها •• لقد كانت رائعة •• تحفة !

ـ دعك من هذا يا نبيه ! انك ستجد غيرها ولا شك • وحاول ان تنساها بسرعة كما احببتها بسرعة • ارحم دموعك • انها لا تستحقها !

ثم تركه ومضى فى سبيله • وخلال هذه المدة لم يجرؤ هو على مخاطبة اية فتاة الى ان حدث ما لم يكن فى حسبانه • كان اليوم جميلا خلافا للعادة • وكان يسير فى شارع عريض خال من المارة تقريبا • لقد رآها تمشى وحدها ، وما ان تطلع فيها حتى احس بشىء عارم يدفعه اليها واحس انه قد عشقها لاول نظرة وان روحه قد علقت بها • فاقترب منها فى تردد وحيرة وسالها بدون مقدمة •

ـ الى اين تذهبين ؟

ففزعت منه • ثم زمت شفتيها وابتعدت عنه وهو خلفها • لقد كان سؤاله سخيفا ولكنه لم ينتبه الى سخافته الا فيما بعد • وفجأة سمع رجلا خلفه يقول •

ـ ماذا تريد من ابنتى ايها الوقح ؟

ودون ان ينتظر جوابه ناداها قائلا •

ـ هلغا ! هل تعرفينه ؟ هذا الوقح !

وجاء جوابها •

ـ لا • ابدا : اننى لم اره فى حياتى •• ابدا •

وعاد يسأله فى غضب وحدة •

ـ واذا • ماذا تريد ؟ • ماذا تريد منها ؟

فاسرع يجيبه مرتبكا متلعثماً •

ـ اردت ان اتكلم معها فقط ••• اردت ان اقول •••

ـ ولماذا ؟ ليس لديك ما تقوله لها ! امضى فى سبيلك • وقح ••• بليد •

وبعد لحظة سمعها هي تقول في توسل :
ــ دعك منه يا ابت ! انه مجنون • ارجوك !
وحين سمع كلمتها هــذه احس بقلبه يسيل فــوق جدار صدره • وابتعــد بخطوات دامعة • هل كان هذا ضروريا ؟ هل كان هناك داع لهذه الهزيمة وهذا العيب ؟ وشعر بقلبه يرتجف في صدره ويقطر في امعائه ، فعلم انه الجواب على سؤاليه • لقد شعر بانجذاب نحوها لم يكن يدرى سببه ولم ابتلى به على حــين غفــلــة !
وعاد الى غرفته منكسرا مهزوما وصورتها تملأ راسه • وكم حاول ان ينسلها منه ولكنها تمنعت عليه • لقد تجمدت في راسه وابت ان تذوب مع ان تامله لها لم يدم سوى لحظات وجيزة • فها هي التجربة التي كان يخافها ويخشاها قد حلت به الآن ! واصبحت شغله الشاغل واستسلم لها ، لصورتها ، فكــرا وقلبا ، وحرمته من سكون البال وراحة الضمير • وتاهت نفسه في غمرة الالم والعذاب الحادين ، فاخرج من جيبه علبة اللفائف واشعل واحدة منها وطفق يملأ صدره بالدخان وفمه بمرارة التبغ •
ومر به اسبوع لم ينقطع خلاله عن التفكير فيها ولم يفعل شيئا سواه • كانت صورته تتجسم له بكل سبيل ، فتقلق راحته وتبلبل افكاره ، ولم تكن تدعه يفكر في مستقبله ، في واجباته • والتقى بها في احد الايام • عرفها بمجرد ان رآها • كان جالسا في البستان امام سكناه في اللحظة التي رآها فيها مقبلة عليه • رأى مصرعه يدنو منه ، فنهض ليركض مبتعدا عنها ، ولكن قدميه لم تطاوعاه في ذلك ، فوقف ينظر اليها • وابتسمت له من بعيد محيية •
ــ مــر حبــا •
ووجد نفسه ينظر اليها في حقد وغضب • وكم تمنى لو ان في وسعه ان يضربها ويتفل في وجهها • وعادت تقول •
ــ لماذا تنظر الى هكذا ؟ ان نظراتك مخيفة • اظن انك لا تزال غاضبا على !
ــ ماذا تريدين مني بالضبط ؟
ــ اريد ان اعتذر عما حدث • اريد منك ان تغفر لي لا اكثر • لقد اسأت اليك •
فقال لها وقد انعقد ما بين حاجبيه •
ــ بامكانك ان تتنازلي عن ذلك • فالمجنون لا يعذر احدا ولا يرجو اعتذارا مــن احــد •
ــ غريب انت ! اني لم اقصد بانــك مجنون حقــا • ان الجنون عندنا تعبير مرادف للعشق • الم تلاحظ هذا بعد ؟ الم تسمع به ؟
ــ اجل ! يبدو ان الامر كذلك ! جنون وحب !

ورآها تصب عليه نظرات ثاقبة فيها اغراء وفتنة وفيها شوق وهيام وحنين ، فقال لها وقد احس بشيء ثقيل ينزاح عن صدره ·

ـ واذا فانت مجنونة مثلي !

فنظرت اليه مبتسمة ولم تجب ، فاحس لنظرتهـا تمزقا في اعماقه · وبعد لحظة التقطت يده واخفتها في دفء يديها ثم طبعت قبلة على خده · وظل هنيهة يتأمل محياها البديع التصوير وعينيها الزرقاوين التين كانتا تشعـان بنور مدغدغ وشفتيها التين كانتا في لون الكرز · ولم يجرؤ على تقبيلها مع انه لاحظ انها كانت تنتظر منه ذلك ، ولكنه اقترب منها بشفتيه ، وذلك حين احس بضغط يدها على يده ، فاسرعت تلتهمها في عنف · وشعر بروعة الحياة كلها تتجمع في رحيق شفتيها وهو يقبلها · ومرت لحظات قصيرة سمعها بعدها تقول في همس رقيق ·

ـ احبك ·· احببتك بمجرد ان وقع نظري عليك · انت حياتي ··· جئت ابحث عنك ··· وساعدني الحظ فعثرت عليك دون طول بحث ··· ولكن الآن ··· الآن يجب ان انصرف ··· فقد يمر ابي من هنا صدفة ويراني معك ·· انه لا يحبذ صداقة الاجـانب ··· اجـل يجب ان انصرف ··· تشاو ·· الى اللقاء !

واسرع يسألها كانه يخاف ان تهرب منه الى الابـد ، ولا تسعـده الصدف برؤيتها مرة اخرى ·

ـ ولكن متى نلتقي ؟ · متى اراك يا ؟ ···

ـ غدا ··· غدا يا حبيبي ··· هنا في نفس المكان وفي نفس الوقت ·· تشاو ! الى اللقـــاء

ثم اختطفت منه قبلة واسرعت مبتعدة عنه · وظل يشيعها بنظراته الى ان اختفت في منعطف الشارع وهي تودعه بيده وتلوح له بها · ولاول مرة يحس بالحنين الى الوحدة ليتمثل سروره بها ويتمتع به تماما كما كان يحن اليها في اوقات تعاسته ليهضم حزنه ويحاول الانتصار عليه في وحدته · ولم يكد يتصور انه قد وجد حقا فتاة قلبه من غير ان يبحث عنها · فعاد الى غرفتـه ليستعيـد صورتهافي ذهنه في هدوء ويردد كلماتها التي عزفت في سمعه نشيد ميلاد حبه وسعادته· ووقف بقامته القصيرة في النافذة يشرف على المارة ويتأملهم من عل ليشغل نفسه بذلك · فالغد لا يزال بعيدا · وقد اغناه التفكير فيها عن اي شيء آخر · ولذلك فهو لا يدري كيف يقضي وقته ويشغله لينطلق به الى الغد ويصبح الصباح وحبس نفسه في غرفته · لانه لم يكن يريد ان يرى احدا · كان يريد ان يعيش لها وحدها ، لنظراتها ولكلماتها وعينيها ، لشفتيها وقبلاتها · وتصور

الحياة بدونها مفزعة للغاية ، قاحلة جافة · وتذكر فجأة انه نسى ان يسألها عن اسمها ، وعجب من ذلك اشد العجب · ثم التمعت حروف اسمها فى ذهنه · الم يسمع اباها يناديها فى اليوم الذى خاطبها فيه باسم هلغا ؟ اذا فاسمها هلغا ! وتناول القلم وكتب اسمها اكثر من مائة مرة وهو فرح بهذه التسلية ·

واخيرا وبعد انتظار طويل جاء الغد · فارتدى احسن ملابسه وذهب لملاقاتها قبل الموعد بنصف ساعة · وانتظر هناك وكانت قارورة العطر التى اشتراها لها تنتظر معه · انتظرها ساعة ونصفا ولكنها لم تأت · ولم يستطع ان يصدق انها لن تأتى · فليس من الممكن ان يكون كل ما قالته كذبا وتلاعبا ومزاحا · ابدا · لا شك انها احبته كما احبها · ايمكن ان يكون حبه لها غباوة منه ؟ حقا انه لم يحب فى حياته فتاة بهذه السرعة ، فهل من المعقول ان يكون قد فقدها بالسرعة التى احبها بها ؟ ابدا · لا بد ان تأتى !

وانتظر نصف ساعة اخرى · وفى النهاية ··· فى النهاية حيث لم تعد ثمة نهاية شعر بالم فى عينيه من كثرة النظر · وفقد كل امل فى مجيئها فى ذلك اليوم · وعاد فى اليوم الثانى والثالث والرابع الى نفس المكان ينتظرها فيه · فلعلها تمر به صدفة كما فعلت فى المرة السابقة · ولكن ذلك كله كان عبثا · فجلس هناك فوق مصطبة يبكى · تماما كما فعل صديقه اللبنانى ، مع فارق واحد وهو انه لم يجد فيما بعد من يسليه ويعزيه عنها ·· من يقول له ابحث عن غيرها ·

واحس بثقل راسه وعينيه وهو عائد الى غرفته فى الليل · واضطجع فى فراشه يحدق فى الظلام ويفكر فى المصير الذى ينتظره · وتبدى له القرف متجسما فى كل شىء ··· حتى فى ذاته نفسها · وخيل اليه ان افكاره قد استحالت الى اصوات يدوى بها راسه · ومد يده الى المذياع وفتحه ليهرب اليه من نفسه · وثمة سمع صوت المذيع الحبيب يقول :

ـ هذا ، ايها الاخوان فى كل مكان ، وقد غنم جيشنا الظافر اسلحة كثيرة وعتادا حربيا ···

فاقبل عليه يصغى ··· ويصغى فى شغف واهتمام · وما ان انتهى المذيع من حديثه حتى اخذ صاحبنا يضحك ··· يضحك على نفسه ويسخر من غباوته · اجل يضحك من سخافته التى اباحت له ان ينسى حبيبة كن يمنحها افكاره ليل نهار ويستعيض عنها بحبيبة اخرى زائفة · كيف جاز له ان ينسى الارض التى غفت وغفا ربيعها فوق صدره الاسمر ؟ وشعر باليقظة والحياة تتدفقان فى اعماقه من جديد · واغمض عينيه ونام راضيا ، فقد تمثلت له صورة الحبيبة المنسية وهى على اروع ما تكون نضارة وعنفوانا وعظمة

أوراس

بقلم : احمد عبد المعطى حجازى

مدن المغرب
ترتج على قمة اوراس
زلزال فى مدن المغرب
لم يهدأ منذ سنين مائه
لم يترك فى جفنه امنية نعاس
يأتى المولود على صوت الزلزال
ويموت رجـال
فيودعهم صوت الزلزال
جيل عن جيل ٠٠ أجيال
عاشت ، ماتت فى الزلزال
فالجبل هناك له روح تسرى
تحت الفجر
تسرى فى قلب الاحياء
وتـرن بجـوف الاشيـاء
وتنادى ٠٠ « يا طيرى
يا طيرى الغائب عد للغابة يا طيرى
حطم سجنك
غالب زمنك
وارجع فالعش على صدرى
خاو ينتظرك يا طيرى
ارجع يا روح الحرية ! »
وتهب الريح الغربية
تنشب مخلبها فى الثلج
وتقلب احشاء الموج
ويطوف زئيرها لوهج

يجتاح القمة والتلا
بن بللا ٠٠ أسروا بن بللا
ثوره ٠ ثوره
ونفور خيول
كسيول فاضت فوق تلال
قطاع طريق من احراش الغال
يلوون الالسن باللغة الافرنجيـة
ما زالوا بفراء الدببه
يجرون وراء الدم
ما زالوا رومانا ، ما زالوا كفارا
يرمون على القرية نارا
فيموت ملوك
أبناء ملوك حكموا اسبانيـا
اسبانيا الفردوس المفقـود
استطرد يا قلمى
اسبانيـا الفردوس المفقـود
ما زالت فى متحف مدريد
اردية السلطان العربى
وتهب الريح الغربية
ويئز الطلق وراء الطلق
فيردده طبل فى الافق
ويعود الطلق يئز
والصمت يسيح
وثلاثة اشباح تغدو وتروح
فى غـابات الارز
صاروا شبحين

والثالث تحت الليل جريح
وضياء سراج من بعد يهتز
ويد راجئة تخفيه
تخفيه منذ سنين مائه
تخشى افواها تطفيه
تخشى افواها سكرانه
افواها منتنة قذرة
جاءت من اقطار الخمره
حيث تبـاع الخمرة للباكي
ويباع الباكي للساقي
ويباع الساقي للكرمه
والكرمة تملك كل النـاس
مدن المغرب
ترتج على قمة اوراس
ما زالت في تيه النقب
لاجئة ترثي اوقات الحب
لما كانت يافا .. يافا !
واخيرا .. ماذا بعدك يايافا ؟ !
كم سنة ونصير حكاية
ويقول العلماء « العرب انقرضوا
في القرن العشرين انقرضوا
كانوا اهل حضاره !
أنكون شهود المأساة ؟
أأكون أنا آخر ابناء أبي
أأموت بلا ولد يتلو شعر العرب ؟
قولي يا اوراس
قولي يا حارسة الابناء
وهموا مازالوا في الغيب
يا ينبوعا يغسل عار الماضي
يا كفا تبني انقاضي

يانور العرب على طول البحر الابيض
يا امنى يا فخري
يا ملهمتي شعـري
يا اوراس

.

اختي نبتة في وادي النيل
شربت بشرتها نورا شربته الحنطة
وانا اهواها واخاف عليها ان تتغرب
لكن ...
سازوجها لفتى من فتيانك يا اوراس
وقف طويلا فوق القمة
عند الخط الفاصل بين الموتى والاحياء
ورأى الف نهار ورأى الف مساء
ورأى الموت بعينه
وكثيرا ما حاور نفسه
ـ « العالم حلو
وانا ما زلت فتى قلبي اخضر
والعين ترى كل صباح
شيئا لم تره بالامس
والموتى عميان ما التفتوا لشعاع الشمس
بينا يغسل اضلعهم في كل صباح
فلماذا لا ابقى حيا
لم ادفن في الظلمة نفسي ؟ ! »
ويغيم الافق بلون الـدم
وتحوم به مدن ، تسبح اشجار
جثث تومض انـوار
ويطوف نداء لم يطلقه فم :
ـ « انت صبي حالم
لا تدرك ماذا في العالم
روحك صاف يحسب ان العالم صاف

والعالم لا يصفو الا للحر
ماذا لو كنت تغذ ذات مساء
واتاك الامر من الاعداء
« اسكت ! »
ماذا لو انك كنت تسير
مع زوجك فى امسية شتاء
واتـاك الامـر من الاعداء
« اتركها واذهب .. يا هذا ! »
ماذا .. ماذا
انت صبى حالم
لاتدرك ماذا فى العالم
روحك صاف يحسب انالعالم صاف
والعـالم لا يصفو الا للحـر
فاثبت واطرد وهمك
واذا شئت تحقق حلمك
حرر اوراس ! »

**

« اوراس » اسم جبال عليا
واسم القمة « شليا »
غرس على
عبرتها ، رسمت سنبلها فيها
طرقات ثلجية
ومجاهل ارز وصنوبر
وغروب ورعاة ورصاص
رعب وظهور محنية
لازرع ، ونار فى الزيتون
والقرية تحت الصلب خراب
والافق تراب
وعذارى فى السجن الثلجى
قـال صديق مـن مراكش

« كانت من بلدى يا شاعر
اكتب قصتها يا شاعر
كانت بيضاء كشمع مسقى بالدم
واحبت فى الجبل محارب
سجنوها فى سجن عالى الدرج
فى الوادىحيث يحط الثلجعلىالثلج
وتنام افاع وعقارب
لدغتها الافعى فى نهد كان صغيرا
كان ككاس بلورىمقفل
انفتح به بئر صديد
وعصرت « سلاف العلجا » فيه
لكن ..
نزل الثدى فتاتا فى حفرات الثلج
صار طعام الدود ! »
لازرع ، ونار فى الزيتون
والقرية تحت الصلب خراب
والافق تراب
وشباب تحت مقاصل ميرابو
يسقونالعينبكلالنور قبيلالذبح !
يا مغرب .. يا مغرب
من اين اتيت بكل ضحاياك ؟
هل انت معين رجـال لا ينضب ؟
ان العالم كل العالم يعجب
من اين اتيت بكل ضحاياك ؟
لك منى ملحمة كبرى
يا من ستكون الى يافا اول عائد
يا من ستخط على قمة اوراس
اسمك واسم الشعب الخالد
لك منى ملحمة كبرى
ولكل شهيد اغنية

ساظل اسطر وامزق
حتى انقل فيها الفرحة
فالشعب سيبحث عن لحن ليردده
وهو يـدق الارض بالاقدام مرحـه
اغنوا اشعارى يا ابطال
هات الصف الاول
اصعد
اصعـد لا تتـردد
هات الصف الثانى
اصعد
دس فـوق وجـوه احبائك
واذكرهم بعد النصر
اعداؤك جبناء
كالورق الطائر فى الريح
ارايت الى ورق غادر شجره
هل يستوطـن شجرا آخر
ارايت الى امرأة حره
هل تهوى الا صاحبها الاول
ارضك تهواك وتنتظرك
الارز حزين
القرية تحت الصلب خراب
والافق تراب
وتسيل دماء دافئة فوق الثلج
وتطير رقاب
وتعود الشمس كطل غـروب
ويؤوب الصمت يؤوب
وتنير الشمس صوارى مصلوبه
فى بحر الروم
وتنير مئاذن قوطيه
من يصعد سلمها يلهث
يشهد من كوتها ميناء الافرنج

فى الشط الثانى فى ظل الموج
الشمس تعود هنا
وتنير قصورا اثـريه
خربها جيش الافرنج
لكن ..
ما زالت فيها فسقيه
مكتوب فيها « باسم الله بناه رحاب
فى السنة الاربعمائة وخمس هجرية! »
يا زمنا راح
كانت سفن المغرب فيه اميره
ترتاح على كل جزيره
وتسد البرزخ فى وجه الاسبان
وتروح بخيرات وتعود بخيرات
باسم السلطان
يا زمنا راح
انذا ابكيك ولكن
اشهد ميلادك فى اوراس
فاشتدى ..
ايتها الريح الغربية
دورى فى نار الحريـة
والتقطى اصوات الزحف
اصداء الطلقة وهى تدوم فى الغابه
ونشيد الروح الغلابه
آنـذا يا زمن الامجاد
اشهد ميلادك فى الظلمة
واغنى للزاحف فيها
للميت فى اعلى القمـة
والنسر ينقر فى كبده
لقلوب نساء
تنتظر على سفح التل
يوم العودة للزرع وللنسل
يوم الحب الاخضر !

مدينة بجـاية وأثرها في

الثقـافة الاسلامية

بقلـم : محمد الفاضل ابن عاشور

كان ذلك الشعب البربرى ، الذى يـدعوه البرابـرة صناق ، وينطق بـه العرب « صنهاجة » ؛ اوفـر قبـائل البربر عددا ، واعظمها شأنا ٠ وكانت الصلات العريقة التى مزجت بينه وبين شعب « كتامة » اخيه قد كونت منهما شوكة بربرية رهيبة : امتدت مواطنها ما بين سلسلة جبال اوراس وساحل البحر المتوسط على الخط الساحلى الذاهب شرقا لغرب من مصب وادى سيبوز بمرسى بونة (عنابة) الى مصب وادى الحراش بخليج الجزائر شرقى سهول متيجة ؛ فى مسافة الف كيلومتر تقريبا ٠ تلك هى شوكة « القبائل » الراجعة الى شعبى كتامـة وصنهاجة التين اعتزتا بمنعتهما وعددهما ومالهما من شدة البأس ، وطول الباع فى الملك ، كما يقول ابن خلدون

ولما اتصلت بالبلاد المغربية ، آتية من المشرق ، حركة الدعوة الشيعية ؛ ظاهرها سرا ، ثم ناصرها جهرا ، عامة « القبائل » من كتامـة وصنهاجة ٠ فكانوا هم الذين اطاحوا بالدولة الاغلبية ، واقاموا دولة الشيعة العبيديين ٠

وكان زعيم صنهاجة ، زيرى بن مناد ، بمقام ملك بين قومه ، فكان له مع العبيديـين ، عند ثـورة الخـوارج من زنـاتـة عليهم بقيـادة ابى يـزيـد مخلد بن كيداد ، موقف مناصرة ذو شأن ، به ضمن المنصور اسماعيل العبيدى ذلك النصر الذى انقذ به عرشه من على شافة الدمار ، فى منتصف القرن الرابع

وبتلك اليد التى اسدوها الى العبيديين ، عظم شان صنهاجة ، وتأكدت سيادة زيرى بن مناد فيهم ، وعظم شأن العمران الحضرى فى المدن الصنهاجية الاسلامية مثل اشير ومليانة وجزائر بنى مزغنى (عاصمة الجزائر)

ولما اضطرب امر العبيديين ، فى اخريات ايام مقامهم بالمغرب ، بصمود المقاومة السنية لهم ، وعظمت الاحداث بالمغرب الاوسط ، قبيل استقرار قرار المعز على نقل تخت ملكة الى المشرق ، كان لزيرى فى تلك الاحداث ، من عظيم المواقف فى خدمة العبيديين ، ما حمل المعز العبيدى على ان يولى ابن زيرى وخليفته فى زعامة صنهاجة ، وهو بلكين ، الذى ابـدل المعز اسمه يـوسف

وكناه بابى الفتوح ، وملك بلاد المغرب كلها ، باستثناء ليبيا وصقلية ، سنة 362 ثم اضاف اليه ليبيا سنة 367 ، فاصبح ملكه شاملا ما بين برقة ومضيق جبل طارق

وبذلك علا نجم صنهاجة ، وخلصت السيادة لها ، لا سيما وقد نزح اخوانهم من كتامة مع العبيديين الى المشرق ، ليكونوا هنالك عصبية الدولة الفاطمية فاصبحت صنهاجة وعلى راسها يوسف بن زيرى عماد الحكم فى بلاد المغرب ، مستقلة بالامر تحت السيادة العليا لفواطم مصر

ولما توفى يوسف سنة 373 خلفه فى ملك افريقية ابنه المنصور ، وتوزع بقية ابنائه : اخوة المنصور ، الولايات • وكان من جملتهم حماد بن يوسف الذى ولاه المنصور على عاصمتهم القديمة مدينة اشير

واستمر حماد على ولاية اشير ، بعد وفاة المنصور ، فى عهد باديس • وعظم استقلاله بولاية المغرب الاوسط • فاختط مدينة جديدة فى جبل عجيسة من سلسلة جبال الادنة اشتهرت بالاضافة اليه وهى « قلعة حماد » او « قلعة بنى حماد » التى تمصرت وعظم شانها اول القرن الرابع

ودب التنافس بين مملكة صنهاجة بالقيروان وولاية بنى حماد فى القلعة حتى انتهى الى القطيعة والانفصال فى عهد المعز بن باديس

وكانت قلعة بنى حماد مدينة عظيمة مستبحرة العمران ، ذائعة الصيت فى القرن الرابع ، آهلة بالعلم والصنائع والحرف ، تشد اليها الرحلة من اطراف البلاد المغربية •فسرعان ما ضارعت القيروان او قاربتها • واعانها على الصعود الى تلك المنزلة ، القطيعة الناشئة بين الفاطميين بمصر وبنى زيرى بالقيروان، فاستغل آل حماد تلك القطيعة، ووثقوا صلاتهم مع الفاطميين فاتخذوا بذلك حصنا وقاهم بعض شرور الزحفة الهلالية ، زيادة على ما افادهم موقعهم الجبلى المنيع من حصانة فى وجه تلك الهجمة • وكان ذلك معينا على نشاط الحياة الاقتصادية والاجتماعية وتعاظم الحضارة والعمران • وقد وصف ابو عبيد البكرى فى كتاب المسالك والممالك قلعة بنى حماد بانها يومئذ ــ منتصف القرن الخامس ــ كانت مقصدا للقوافل من الشرق والغرب ودار تجارة عظمى

ولكن تيار الزحفة الهلالية طغى حتى عجزت القلعة الشماء عن الوقوف فى وجهه • فقطعت الاعراب دونها طرق المواصلات وآل امر بنى حماد الى ما آل اليه امر بنى زيرى بافريقية ، فكما اضطر هؤلاء الى الخروج من القيروان ،

فاستقروا بالمهدية اضطر اولائك الى الخروج من القلعة ، والنزول عنها الى الساحل ، حيث اسسوا مدينة بجاية فى حدود سنة 457

كانت بجاية الى حد ذلك التاريخ ، ميناء حصينا يحميه جبل شاهق ، تأوى اليه قوارب لصيادى البحر من البربر ، وفيه بيوت لهم قليلة حقيرة

فلما ترك بنو حماد قلعتهم ، اتجهوا شماليها نحو البحر ، فاسسوا عاصمتهم الجديدة على ذلك الجون الحصين فى عهد ملكهم الناصر بن علناس بن حماد ، وسميت بجاية لذلك « الناصرية » ، واسس الناصر قصره المسمى « اللؤلؤة » وكان ، كما قال فيه ابن خلدون « من اعجب قصور الدنيا » وبنى الجامع العظيم و « المبانى العجيبة المؤنقة » واستقر هنالك سنة 461 واقبل الناس على سكنى « بجاية » او « الناصرية » واستعاضوا بالمواصلات البحرية عن المواصلات البرية التى قطعتها فتنة الاعراب فكانت بجاية كما قال ياقوت « دار مملكة تركب منها السفن وتسافر الى جميع البلاد » واعتز بذلك آل حماد واستفحل ملكهم وعظم شأن ايامهم . ونشطت فى ظلهم الحركة العلمية التى كان الجامع الاعظم مدارها . وتفتقت المواهب الادبيةوالملكات الشعرية التى كان قصر اللؤلؤة مجلاها . وزاد عمران بجاية اتساعا ، وحركة العلم والادب فيها نشاطا وانتشارا ، فى عهد المنصور ابن الناصر ، وفيه يقول ابن خلدون : « وهو الذى حضر ملك بنى حماد وتأنق فى اختطاط المبانى ، وتشييد المصانع ، واتخاذ القصور ، واجراء المياه فى الرياض والبساتين »

ولقد خلد شعر ابن حمديس الصقلى مبلغ نعمة الحياة فى قصر اللؤلؤة على عهد المنصور ، فى القصيدة الشهيرة وعين عيونها قوله

فلك من الافلاك الا انه

حقر البدور فطلع المنصورا

ولما كانت بجاية قائمة فى كيانها الروحى على اطلال قلعة بنى حماد ، فانها كانت – كما كانت القلعة قبلها ، عاصمة من تلك العواصم الافريقية التى تسلسلت ، منذ تاسيس القيروان ، من روح المجتمع الاسلامى الواسع الذى تذوب فيه العصبيات ، وتتقارب العناصر ، وتتفاعل الثقافات والحضارات . ولما كانت مؤسسة على الروح الاسلامية ، والروح الاسلامية روح ثقافية . لانها روح ايمان ومعرفة ونظر ، فان الصبغة الثقافية كانت السائدة على عمرانها ، والحركة العلمية كانت قوام حياتها الاجتماعية ، كما هو الشأن فى

القيروان وتونس وتلمسان وفاس وغيرها من العواصم الفكرية للاسلام بالمغرب العربي • وبتلك الروح الثقافية استطاعت تلك العواصم ، ومنها بجاية ، ان تثبت على زعازع الاحداث

فقد تالف المجتمع البجائي لاول تكونه ، من بربر وعرب ، مشارقة ومغاربة • وصلت بينهم الروح الثقافية • فلما نشأت الفتن السياسية وانشقت عصبية زناتة بظهور المرابطين ، لم يتاثر بذلك المجتمع البجائي ، بل بقي متماسك الوحدة ، وثيق الرباط • وكان له في كل دور من الادوار المتتابعة من بعد ما اصطبغت به حياته من اثر ثقافي حييت به بجاية على مر القرون وتفاعلت مع غيرها من العواصم المغربية بما ملا حياتها الثقافية من اخذ وعطاء

ففي اوائل القرن السادس كان منها مطلع الدعوة الموحدية ، واول ما نزل المهدي ابن تومرت عائدا من المشرق نزل بها ، وفيها اعلن اول مرة ، دعوته بتغيير المنكر ولما قامت الدولة الموحدية ، تحت راية عبد المؤمن بن علي ، في منتصف القرن السادس انتظمت بجاية في مملكته وانتهى بذلك حكم صنهاجة في المغرب الاوسط ، كما انتهى حكمهم بافريقية على يد عبد المؤمن ايضا

وكان انتظام بجاية في حكم واحد مع بلاد الاندلس وعواصم المغرب الاقصى وتلمسان وتونس ، ممكنا لها طرقا جديدة للتواصل والتفاعل الفكري والحضري مع البلاد المغربية باسرها

واستوثقت لها تلك المواصلات مع البلاد التونسية بصفة خاصة لانتظامهما معا في الحكم الحفصي ، عند تفرق الدولة المؤمنية

فكان القضاة ، واهل الفتوى ، ومدرسو العلوم يتنقلون بحكم الارتباط السياسي والاداري بين تونس وبجاية وذلك ما سمح لشائع العلم واوابد الفكر ، ان تروج مرددة الاصداء ، بين جامع الزيتونة الاعظم بتونس والجامع الاعظم ببجاية فتفتقت في بجاية زهرة العلم بسبب ذلك بصورة لم يسبق لها نظير ، في قرني العظمة الحفصية السابع والثامن

ويكفينا تصويرا لذلك ، السجل الحافل الذي وضعه الشيخ ابو العباس الغبريني في اواخر القرن السابع ، وهو كتاب «عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية » وقد نشر بالجزائر 1328 بعناية الاستاذ المرحوم الشيخ محمد ابن ابي شنب • وفي هذا السجل يجد الناظر شواهد القطع على ما كان ببجاية من اثر في انتاج العلوم الاسلامية على اختلافها من

الرواية والدراية فقهـا واصولا وكلامـا وتصوفا وحكمة وطبا ورياضيات ، وعلوم اللسان العربى ادبـا وآلات ، والانتـاج الادبى شعرا ونثرا ونقـدا وتاريخا وتراجم

ويتبين فيه مـا كان لبجايـة من الصلات الوثيقـة مع عامة مراكز الثقافة الاسلامية ، من الاندلس الى اصفهان ببلاد العجم وما كان لها من اثر فى ربط اعلام تلك المراكز برباط التعارف والمقابسة ناهيك بانها شاركت تونس فى ابن زيتون وابى عبد الله الخزرجي وابن الغماز ، وهذان ولى كل منهما قضاء تونس وقضاء بجاية وفى ابى عبد الله ابن شعيب وقد ولى قضاء بجاية وقضاء القيروان · وشاركت الانـدلس فى عبد الحـق الاشبيلي وابن سيد النـاس وابن خالـد الحاتمى وابى عبدالله الكندشى والشيخ محيى الدين عـربى · وشاركت المغرب الاقصى فى الحرابى · وشاركت طرابلس فى ابن ابى الدنيا· زيادة على الذين انفردت بهم من الناشئين فيها والمستوطنين اياها من اهل قلعة بنى حماد وابناء زواوة واهل المسيلة واهل الجزائر

حتى لم تبق ، فى اواخر القرن السابع ، دار اتصال ومقايسة بين العلماء فقط ، بل اصبحت مركز توجيه مطلق ، يسير به المغـرب العربى باسره ، فصارت فتاوى اهل بجاية معتمدة متبعة ذات اثر واضح فى التطور الفقهى · واصبحت طريقتهم التدريسية فى الفقه، ماخوذا بها فى عامة مراكز الدراسة الفقهية فى البلاد المغربية · فان عدول الدراسة الفقهية عن طريقة المدونة الى الطريقة الجديدة ، طريقة مختصر ابن الحاجب الفـرعى ، انما كانت بتاثـير الشيخ ناصر الدين المشدالى الزواوى فقيه بجاية · فقد رحل الى مصر وتخرج هنالك فى الفقه المالكى على طريقة ابن الحاجب ، وبين يدى تلاميذه · فلما رجع الى بجاية اتبع تلك الطريقة واشاعها ، والتزم مختصر ابن الحاجب ونشره بين اصحابه ورغبهم فيه ، فعم سائر الامصار المغربية وعكف الفقهاء بالمغرب عليها وهجروا لاجله المدونة والامهات الاولى ـ وبدا هذا التاثر واضحا فى البلاد التونسية فاقبل فقهاؤها على شرح مختصر ابن الحاجب واعتمـاده واقبـل طلبتها على حفظه ودرسه واصطبغ الفقه من ذلك باثر اختلف به عن الطريقة القديمة وبذلك عظم اعتزاز اهل بجاية بانفسهم ، وعظم اكبار فقهاء المغرب لبجاية واهلها واصبح متنظورا اليها بالاكبار ، متوجها نحوها بالاعتناء · ولم تزل معالمها فى القرون التالية تلقى فى روع ناشئتها نخوة الاعتزاز بذلك الماضى العلمى المجيد · فتحفزهم الى الحفاظ وتدفعهم الى المزيد ·

محمد الفاضل ابن عاشور

كلما كدنى جهد ، فزعت للأدب ، ارتاح به ٠

بالفعل ، قـد فزعت له بعد دراسة كتبتهـا عن اللغـة العـربية ومستقبلها فى تونس ٠

ولكن ، لم اكن اقصد ، ولا يمكن ان اقصد ، ان اجد الموضوع الذى همنى ، ماثلا امامى ، من جديد ، فى الخلوة التى فزعت اليها لارتاح منه ٠

كان الشعر باللغـة الفرنسية ، لشاعر الجـزائر **مـالك حـداد** ، ولكنه كان من الصراحة والعمق بحيث لم أتمالك ان وجدتنى اردد نصا عربيا موزونا وغير منزوع المعالم الفرنسية التى تطبعه ٠

انا لست شاعرا ، ولا كنت اعتدنى فى مترجمى اللغات ٠ ولكن وضعيتى وامتلاء ضميرى ، اللاشعورى ، هو المسؤول عن هذه الترجمة المرتجلة للشعر بالشعر فى سياقنا الادبى ٠

قال **مـالك حـداد**

انـا لا تلمنِي يا اخـي * * ان لم تَرُقْكَ معـانِيَـهْ
لـم اقصـد التطريبَ فيمـا جئتـه ، وأُغَانِيَهْ
لو كان حُـرًّا موطِني * * ما شَعْشَعَتْ أَحزانِيَهْ
لو خِرْتُ حُرًّا منطقِي * * عـربتها اوزانيه
فـرأيتمـو الوانيـه * * تُحْيِي لُغَـى اوطـانيه
* * *
لكنما وطني المُخَضْـــضَـد ، ابلعوني لِسَانِيَهْ
فبكيته ، وسمعتمو التْــتَرجيع من اشجـانيـه
* * *
هـذا صُراخٌ لاغِنـــاء ، موقـظ اخوانِيَـهْ

« تحيـــــا الجـــــزائر... »

قصة بقلم : محمد الصالح الصديق

كانت (فاطمة) تعد طعام العشاء عندما دخل وحيدها (فوزى) يستأذنها فى الخروج مع اولاد (بوزريعة) احدى ضواحى العاصمة ، ليمرح ويلعب ..

وكانت (فاطمة) لا تسمح لولدها بالخروج الا قليلا ، لان الخوف من جنود المظلات اصبح لا يفارقها منذ ان اخذوا يمدون ايديهم الاثيمة بالغدر والتنكيل الى الاطفال الصغار تشفيا وانتقاما .

ولكن (فوزى) بابتسامته الساحرة ، وصوته الحالم العذب ، وقبلاته الحارة ، التى اخذ يطبعها بغير انتظام على خد امه ونحرها ، استطاع ان ينتزع منها السماح بالخروج مرفوقا بالدعوات ان تحفه عناية الله .

خرج (فوزى) يرقص طربا ، تاركا امه على حالة احر من الجمر ، خشية ان تصاب فى الصميم هى الاخرى ، بعد ان اصيبت اختها (زهرة) سيما عندما اذنت الشمس بالغروب ، واخذت الطيور تجثم على الاشجار فى فناء البيت .

فى هذا الوقت بالضبط كانت فرقة من جنود المظلات تذرع الشرع الرئيسى ـ بابى زريعة ـ بعد ان انتهت من عملية ترويعية ، قامت بها هناك فى احد منازل الفدائيين ، ولم تكد تصل الى حيث الاطفال يلعبون ، حتى اندفع احدهم الى الامام ، وهو ضابط صغير يامر الاطفال بالوقوف مشهرا رشاشته فى وجوههم ، فوقفوا واجمين ، يسودهم صمت رهيب ، وتعلو وجوههم كآبة سوداء ، ثم اقترب من (فوزى) واخذ يداعبه ، وهو يرتعد فرقا ، وينظر يمينا ويسارا ، نظرة المستنجد الحائر ، ولو تكلم لقال :

ابعدوه عنى ، انه ذئب فى صورة انسان .

وهذه المداعبة وسيلة شيطانية يستعملها الضباط مع الاطفال ليتسقطوا منهم معلومات واخبارا عن تحركات الفدائيين .

ولم يكن الطفل يتجاوز التاسعة من عمره ، ورغم ذلك فقد استطاع ان يلقن الضابط اقسى درس فى الوطنية الصادقة .

ذلك انه لما رفض ان يجيبه على هذه الاسئلة :

أين والــدك ؟٠٠

هــل يبيت عندكــم ؟

وهــل تــرى المجاهدين ؟٠٠

ناوله قطعــة من الحلوى ، وقال له :

ـ قــل تحيــا فــرنسا ٠٠

فهاج الطفل وثار ، ورمى الضابط بالحلوى ، وقال فى لهجة صارمة :

تحيــا الجــزائــر ٠٠

وما كان من الضابط الا ان اخرج مسدسه وافرغه فى صدر الطفل البرى فاخترقت رصاصاته قلبه ورئتيه ، فتلوى المسكين من الالم ، واختنقت الصرخة فى حلقه ثم لم يلبث ان صار جثة هامدة ٠

ذهب الجنود الوحشيون ، وقد اطفأوا ظمأهم ، وارضوا وحشيتهم التى لم تهذبها حضارة ، ولم يقيدها قانون ولا شريعة ، فتجمع الاطفال يبكون زميلهم (فوزى) وهم يريدون ان يتعلقوا بالسفاح المجرم لوكانوا يستطيعون، ويتمنون لو كانوا كبارا حتى يثاروا له من هؤلاء الذين تتبرأ منهم الانسانية ، وتنصب عليهم لعنة الله ٠

وكان الشيخ احمد جد فوزى من الام بصدد الخــروج من المسجد ، وقــد انتهى من صلاة المغرب عندما بلغه نبأ مقتل حفيده فخف خارجا ليقف على جلية الامر ، وقد انعقد لسانه ، وتحطمت اوصاله ، واحس بقلبه يثب بين اضلاعه، ولم يكد يخطو خطوات حتى اقبل جمع من الناس يحملون جثة (فوزى) ضحية النهمة الاستعمارية ، فلم يستطع الشيخ احمد ان يتمالك ونفسه فاستند الى جدار خشية ان يقع على الارض ، وقبل ان يصلوا اليه ببعض خطوات تجلد وجمع قواه ثم اشار لهم ان يمشوا رويدا رويدا حتى يسبقهم الى بنته (فاطمة)٠

لقد ساورت (فاطمة) وساوس ومخاوف ، وحدثها قلبها بالفاجعة ، وشعرت بنذر الشر ، واحست بالدنيا تعبس فى وجهها ، واشتد خــوفها ، وكادت تستيئس منه ، ففتحت نافذة تطل على الشارع وتسمرت امامها علها تسمع او ترى ٠٠ فاقبل الشيخ احمد يتكئى على عصاه وهو يردد فى صوت اليم يقطعه السعــال ٠٠

انا لله وانا اليه راجعــون ٠٠

فادركت (فاطمة) ان الكارثة قد اصابتها ، فسارعت الى فتح الباب وهى تقول :

أقتل فوزى ؟..

أين فوزى ؟..

اجبنى يا ابتاه ؟..

فلم يكد الشيخ احمد يكاشفها بالحقيقة حتى وصل فوزى الى الباب مخضبا بدمائه ، واخذوا يدخلونه ، وهم يتصايحون بوحشية الاستعمار الفرنسى ، فاندفعت الى الباب ، واطلقت صرخة مدوية ، اقتلعتها من اعماقها ، ثم وقعت مغشيا عليها من هول المصاب ..

وكان الشيخ احمد يحاول ان يسعف بنته عندما دخلت البنت شقيقتها (زهرة) التى ثكلها فى وحيدها ايضا جنود المظلات منذ ثلاثة اشهر . وكانت خلال هذه المدة لا ترى الا شاحبة الوجه ذابلة العينين ، فاقتربت من اختها فى خطى متثاقلة ، كانها تقتلع رجليها من الارض اقتلاعا ، واسندتها الى صدرها وأخذت تسعفها ، والناس من حولها يتبادلون الحديث مع الشيخ ، ويصفون له الواقعة حسبما تناقل وصفها الاطفال ..

وبعد لأى افاقت فاطمة من اغمائها ، تتصبب عرقا وفى ماقيها دموع حائرة ، واخذت تنظر الى من حولها نظرات شاردة ، وترهف اذنيها لتلتقط ما يدور من الحديث بين الحاضرين ، فنظرت اليها اختها ، وقد امسكت براسها ، وانشأت تقول :

خففى من حزنك يا اختاه ، وتشجعى ..

واعلمى ان موت فوزى ومن قبله توفيق ، وان نغص علينا الحياة ، وسود امام اعيننا الدنيا فهو شرف لنا وفخر ..

فقد قتل توفيق لانه رفض ان ينظر الى ابيه عندما جرده السفاك الفرنسيون، من جميع ثيابه واجبروه على الرقص امام الملأ اهانة وتشفيا حتى قتلوه ..

وقتل فوزى لانه هتف بحياة الجزائر ، ورفض فى اباء وشمم ان يهتف بحياة فرنسا . فكلاهما سجل بموته اروع صفحة فى تاريخ البطولة الجزائرية .

فلتهنأ روح توفيق فى الملأ الاعلى بروح فوزى ..

ولنهنأ نحن بهذه التضحية الغالية فى سبيل الوطن العزيز .

وما ان انتهت زهرة من هذه الكلمات حتى اشرقت بسمة على ثغر فاطمة ،

واستوت قائمة كانها نشطت من عقال ، وتقدمت الى فوزي ورفعت عن وجهه الستار وقبلت جبهته وقالت فى صوت مختنق :

ما ذنبك يا ولدى ؟

وبأى حق قطعوا عليك حياتك ؟ ..

ولكنهم مجرمون سفاكو دماء مجردون من كل المشاعر الانسانية .

قالت ذلك ثم ولت مدبرة ، واقسمت جهد اليمين لتلتحقن بالجبل حيث زوجها وحيث ستثأر لولدها اعظم ثأر وشفعت بيمينها (زهرة) مؤكدة ان ذلك اغلى امنياتها منذ بدء الثورة . ثم زلزلت اركان البيت بالزغردة وتفرق الجميع وقد اسر البابهم اعجاب ودهشة .

وهكذا التحقت الشقيقتان بارض المعركة وضمهما جبل « البليدة » حيث جاءتنا رسالة منهما تفيض حماسا وعزيمة وايمانا وتقولان فى ختامها :

ثقوا اننا المنتصرون ، وان علم الجزائر الذى كتبنا تحت ظله هذه الرسالة سيرتفع فى كل مكان من الوطن رغم انوف المستعمرين ، وقد عقدنا العزم على احد امرين اما الحياة واما الممات .

محمد الصالح الصديق

مـع المجـــــــاهدين

من الآثار الادبية المستوحاة من الثورة قصة طويلة لم تنشر بعد بعنوان «القبائلية الاحرار» لصاحبها محمد عراب مسعود ٠ وقد نشرت منها مجلة «الانصار» (Partisans) بباريس مقتطفات نقلتها عنها الجريدة الاسبوعية التونسية « افريك اكسيون »

ونظرا لقيمة هذا الاثر وما يلقيه من اضواء على حياة المجاهدين وسمو الكفاح الذى تقوم به امة كاملة منذ سبع سنوات راينا نقل هذه المقتطفات لقراءنا الكرام.

الفكر

ابصر السائق بغتة على بعد خمسين خطوة من حافلته شابا ينتصب امامه ممسكا برشاشته بينما اشار عليه شب آخر بالوقوف وكانا فى سن واحدة يلبسان نفس البدلة من « الكاكى » فجمدت يد السائق من شدة الخوف وافلت منه المقود حتى انقلبت الحافلة على حافة الطريق ٠

ففتح الشابان الباب وقالا :

ـ هيا ـ اخرج من هنا ٠٠٠ انزل بسرعة

وخاطباه بلغة البلاد فايقنت السيدة « بولراس » انها امام « الفلاقة » كما كانت تتوقع فاعتراها خوف كبير وخيل اليها ان اليد الممدودة لاعانتها على النزول اصابع اخطبوط ارتعدت منها فرائسها وجمدت جوارحها ٠ لقد احست برغبة جنونية فى الصياح ولم يخرج اى صوت من حلقها فوضعت يدها فى رقبتها كانها تريد ان تتيقن من حساسيته ٠

سالها الشاب وكانت رشاشته تلمع على اشعة الشمس : هل انت فرنسية :

فتمكنت من الجواب بصعوبة ان نعم ٠

ـ لا تخشى شيئا ، ان جيش التحرير الوطنى لا يحارب النساء

قال ذلك مفخما كلماته ٠ فلم تطمئن الى ذلك الا ان الامل وان كان ضعيفا داعبها واعتقدت انه لن يصيبها شر فى هذه اللحظات الجهنمية

امر الشاب اخـوانه المختفين فى مكامنهم بعيدا عن الطريق : هيا لنذهب فوثبوا فى خفة السباع وامروا المرأة بمصاحبتهم

* * * *

وبينما هم يشقون غابة زيتون ارتاحت عند ما رأت جماعة يلتقطون صحبة نسائهم باكورة الزيتون • فكان ذلك بمثابة اليد الممدودة الى غريق فى الهواء الطلق• وشعرت بالرغبة الى الركض نحوهم والاستنجاد بهم•ولكن الرشاشات كانت هناك مهددة خطيرة • فامسكت عن ذلك ولم تفقد الامل فى ان تـراهم يخبرون رجال الامن بما رأوا • الا انها سرعان ما خاب ظنها لان القوم استقبلوا مختطفيها استقبالا لا يمكن ان يكون الا تلقائيـا • وخاطبهم الشاب صاحب الرشاشة الذى يظهر انه قائد الفرقة بكلمات لم تفهم معناها فلما التفتت بعد ان قطعت بضع امتار رأتهم يجتهدون فى محو آثار الاقدام •

لقد امرهم القائد عثمان قائلا : لنسرع الخطى • لا تزال الساعة الا الثالثة بعد الزوال ولا يزال النهار طويلا ، انـه فى امكانهم اذا مـا فطنوا بفقـدان « بوجمعة » مطاردتنا بالطائرات وتعطيل رجوعنا الى مكمننا • ثم قال للمرأة :

ــ قليلا من الجهد يا سيدتى • لم يبق لنا الا مسير عشرين دقيقة • سنتوقف فى القرية التى تريتها هناك واذا قررنا مواصلة السير سنمكنك من حذاء او « عفاس » • واذا تعذر ذلك اخلينا سبيلك وسوف تجدين المركز قريبا منك •

فسألته والدموع تترقرق فى عينيها :

ــ لكن لماذا لا تتركون سبيلى هنا •

ــ ان ذلك متعذر يا سيدتى • لا نريد ان يخبر احد رجال الامن بوجودنا ويرشدهم الى الطريق الذى سلكناه

* * * *

ولما وصلوا الى سفح الجبل المنحدر من القرية تسلقوه•وكان الخوف من القتل فى هذا المكان يحفز قوى هذه المرأة المسكينة وقد انهكها السير الطويـل • وكلما علقت ثيابها باشواك الشجيرات التى تغطى سفح الجبل جذبتها فبقيت هذه الثياب قطعا متناثرة • وبعد اربعين دقيقة وصلوا الى اطراف قرية «تـ ••»

قال القائد الى رجاله : امكثوا هنا • سادخل القرية لاتعرف على ما يجرى هناك • ولا تلتحقوا بى الا اذا ارسلت اليكم بمن يأتيكم بثياب لهذه المرأة التى يجب ان لا يفطن لوجودها حراس المراكز المجاورة •

وبعد عشر دقائق قدمت امرأة شابة حاملة سلة فيها جلباب وحذاء ٠

قال لها ابراهيم : هذا لك ٠

لبس المجاهدون برانسهم وقد اخرجوها من مخاليهم وتوجهوا الواحد بعد الآخر نحو القرية حيث اعدت لهم المنظمة السياسية مأمنا ونظمت حراسة نشيطة

* * * *

ان القرى التى تصافح بعضها بعضا من ربوة الى اخرى كلها جزر لجأت اليها عبر القرون الحرية والعدالة والعزة والكرم٠ فكم من معتد اذاقته هذه الجمهوريات الصغيرة الغيورة على تراثها الرائع مرارة الخيبة سواء بقوة السلاح او بالروح ٠ انها لم تخضع لنير العبودية ابدا ٠

وبينما كانت السيدة «بولاراس» تعبر انهج وازقة هذه القرية البائسة رأت نفسها محل فضول لا حد له ٠ فمن كل باب تبرز نساء بوجوههن الذابلة ويظهر اطفال اخذ منهم الاستغراب مأخذه ٠ فاحست بفرائسها ترتعد وقالت فى نفسها : لو سلمونى الى هؤلاء القوم لاكلونى حية ٠

اما الذين كانوا يعترضون طريقها فانهم كانوا يجهلون صفتها فلم يحدقوا فيها بمثل ذلك الالحاح المثير الذى يضطرك الى الاغضاء لقد كانت النساء يحملن على ظهورهن حزما من الحطب او جرارا مملئة ماء ٠ وكان الرجال يمسكون بأذيال احمرتهم المحملة بزنابيل من الزيتون يقودونها فى ذلك المنحدر وهى تشهق من شدة التعب وكانوا يوجهون تحياتهم الصادقة الى اخوانهم مرحبين بهم اشد الترحيب ٠

اندفعت امرأة شابة من عتبة دارها وانقضت على السيدة « بولراس » ممسكة بشعرها (ويا لها من عادة غريبة عند النساء) واشبعتها سبابا لم تفهمه ٠ وبمشقة كبيرة تمكن احدهم ولا شك ان يكون من اقربائها من تخليص « السيدة بولراس » من ايدى المرأة المجنونة وصفعها فى عنف ٠

وقال سى عثمان « للرومية » المرتعشة : لا تؤاخذيها يا سيدتى لقد اصابها شيء من الجنون ٠ انها ارادت ولا شك ان تنتقم مما نالها من شر ٠٠٠ ورفع قميصها حتى ثدييها اللذين عملت فيهما خناجر جنود المظلات الى ان اصبحا جرحين كبيرين يبعث منظرهما الرعب رغم التئامهما ٠

فوضعت السيد « بولاراس » يديها على وجهها وصاحت : آه يا الهى ، واضاف

الشاب : انظرى انها تريد مصالحتك ذلك انى قلت لها الآن : انك طبيبة اتيت لعلاج جرحـانـا ٠

ـ لو استطعت الى ذلك سبيلا

وضمت اليها صدر المرأة هذا الصدر الذى لن يرضع ولن يستجيب للمس ابدا ٠ وعند ما وصلت الى الملجأ حيث سبقها رفقاؤها كانت الدموع تنهمر من عينيها وتوجه اليها سائق الحافلة بابتسامة باهتة تنم عن فزعه ٠ فنظرت اليه مدام بولاراس فى اشفاق قائلة فى نفسها : المهم ان يتركوه حيا ٠

* * * *

ومن خلال الكوة كانت تتبين الجنود المقيمين بالمركز الذى غادرته منذ ساعات وهم يتقاذفون الكرة بينما يستعد الآخرون الى الخروج ٠ وقال لهم مضيفهم وقد ازدادت يقظته لوجود المجاهدين : انها دورية يجب مراقبتها لمعرفة وجهتها ٠ وخرج للفتانظار الحراس وكانوا من الاطفال والنساء ٠

ورأت السيدة « بولاراس » من الكوة التى لم تفارقها خمسين جنديا تقريبا الواحد وراء الآخر متوجهين نحو القرية ٠ وعند ما رأت الرجال حولها لا تزال اعصابهم هادئة اطمأنت ٠ ودخل فجأة طفل كان بالمرصاد صائحا ٠ العسكر ٠ العسكر ٠ فقال له سى عثمان : حسنا يا ابنى لقد رأيناهم ٠ ودخل مضيفهم دا موح بدوره وقال :

ـ انهم قادمون الى هنا ٠ لكن يجب الا تخرجوا ما لم ارسل لكم الطفل ٠ فهم كثيرا ما يزورونتا ثم خرج صحبة الطفل الذى ارتاح الى استعدادات اخوانه الكبار٠وما كاد يخطو « داموح » خطوات حتى دفعت امرأة الباب ودخلت الى بهو الدار قائلة : انهم فى بطحاء الجماعة يتناقشون مع الرجال ٠ لا تضطربوا ٠

وكأن هذه الكلمة صدمت شعورهم فكادوا يجيبون جميعا : نحن نضطرب ؟ اذا نحن لا نهاجمهم فى القرى فذلك خوفا عليكم من التشفى ٠

ـ لو لم يكونوا اكثر منكم عددا لآثرنا مشاهدة نهايتهم ولو كلفنا الامر ما كلفنا ٠ وأشارت الى « بوجمعة » والرومية قـائلة : واذا هـاجموكم ما يكون مصيرهما ؟ يجب قتلهما ٠

وادركت السيدة بولاراس من اشارة المرأة اليها انها المقصودة من الحديث ٠ والقت نظرة استفسار الى سائق الحافلة الذى لا بد ان يكون قد فهم كل شىء ٠ ولكنه كان مشغول البال ، فلم ينتبه الى ما يدور حوله ٠ واعتراها الخوف من

جديد • ولكن ما اظهره هؤلاء الرجال من هدوء البال بدد خوفها انهم يتحدثون ويضحكون كما لو كانوا فى مقهى الا ان الوجوه قد تغير لونها وفهمت من بعض الحركات انهم كانوا يهزؤون باحد رفقائهم وقد ظهرت عليه علامات التأثر ولاذ بالصمت ولا شك انه اراد ان يستفزهم للمبادرة بمهاجمة الدورية • فقد رأته يشير الى الباب • الا ان القائد هدأه •

* * * *

ودخلت امرأة تصيح : آه يا اولادى آه يا اخوانى • ان « داموح » قادم صحبة العساكر • وسأل سى عثمان الذى منعته المرأة من الخروج قائلا :

ــ اين هم ؟

ــ انهم سيصلون حالا •

واشار على ربة المنزل بالاختفاء صحبة الرومية فى غرفة مجاورة وامر رجاله بان يأخذ كل مكانه فى بهو الدار وفى الجنينة الصغيرة التى تفتح على الطريق • وقال : وانت يا محمد قاسى يجب ان تراقب « بوجمعة » وان تضع منديلا فى فمه فاذا حاول اخراجه اطعنه فى حلقه فاذا سمعت الطلقات الاولى ارمه برصاصة فى راسه •

وضع سليمان اصبعه على شفتيه وهو ينظر الى اخوانه وكان يسمع من الزقاق وقع اقدام تقرع الارض • وقال سعيد محركا يديه ، انهم مارون •

وكانت وجوه المجاهدين شاحبة وقد اعتراهم القلق وتوترت اعصابهم فاصبحوا مستعدين للرد على طلقات النار •

ودفع الباب المغلق فتوجهت البنادق فى اتجاهه على اهبة نفث حقدها للانسان الذى اخترعها • ولم يكن الا الطفل الذى سرعان ما فتح له الباب • فسأله عثمان : اين الجنود :

ــ انهم فى دار « دا محمد والى » يبحثون عنه عبثا

ــ وما يفعلون هناك

ــ اظن انهم يريدون حرقها

وما كادت لحظة تمر حتى سمع دوى عنيف ارتجت له الديار العتيقة فى هذه القرية المعاصرة للقرون الوسطى • فقال عثمان :

ــ انهم دمروها بالمفجرات

ـ تلك هى الطريقة الوحيدة الناجعة ·

وسمع صوت الاقدام من جديد يرن فى الزقاق كما سمعت تعاليق الجنود حول فعلتهم البطولية ، ثم خفتت الاصوات شيئا فشيئا ورجعت الى الوجوه الوانها الطبيعية · بعد دقائق رجع مضيفهم والابتسامة بادية تحت شاربيه الرماديين · فقال : ربما ظننتم اننى « بعتكم » ·

فقال عثمان : ابدا ليست هذه هى اول مرة نلتجىء اليك فيخامرنا الشك · ولكن قل لى : هل كانت الدار التى دمروها مسكونة ·

ـ بلا شك · كانت تظل امرأة واربعة اطفال ·

قال عمار : هل سمحوا لهم بأخذ متاعهم

ـ لا ابدا · ان اثاثهم وكامل ذخيرتهم تحت الانقاض التى يسعى الناس فى ازاحتها ·

ـ كنا نتمنى اعانتهم نحن ايضا · الا ان هذا مستحيل ونحن بازيائنا العسكرية ·

فقال دا موح : وعلى كل فان الناس لا يتركونكم تقومون بهذا العمل ·

وسال رابح : هل ان المرأة اصيلة القرية

ـ نعم · ان اقاربها يسكنون هنا · وعلى كل فهذا مفيد للاطفال لو رايتموهم كيف يضمون امهم التى كانت تبكى · انه لمنظر يسيل الدمع دما ·

ـ ومن حسن حظهم انهم لم يقتلوهم

ـ ان الجنود عادة لا يظهرون مثل هذا اللطف · ففى قرية أغ ··· القو القنابل فى واضحة النهار لا لشىء الا ليعبثوا وقتلوا امرأتين وحمارا · ومن حسن الحظ ان اقتصر عمل خمس قذائف مدفعية على هذا العدد الصغير من الضحايا

قال سى عثمان : يا دا موح اود ان تأتينى بالمكلف بالاتصالات

وعند ما خرج المضيف اعاد القوم مزاحهم واصبح قاسى من جديد هدفا لمداعبتهم

قال له محمد : اعترف على كل حال انك خفت

فاجاب المخاطب بهدوء : لا أبدا · كنت متضايقا لاننى لا ارضى ان اجد نفسى محاصرا فى دار · وقد حدث مرة ان بوغتنا كاليوم وكنا ستة عشر ·

واستطيع ان اقول اننا لم ننج من الابادة الا بفضل الله وحده • لقد نصبوا مدفعا رشاشا امام الباب وامرونا بتسليم انفسنا قبل اطلاق النار ـ فلو رأيتنا ونحن في مثل ذلك الفخ • وكنا نسائل بعضنا بعضا بالنظرات لمعرفة الوسائل الواجب استعمالها للافلات من التقتيل او العار • الا انه عند ما تكون الجماعة كثيرة العدد يوجد دائما من بينها بطل او اكثر يعرفون كيف يغالبون القدر • وقد كان في ذلك اليوم سي اسماعيل اقدرنا • لقد نقب السقف بسرعة عجيبة فوجىء بها الجندي الماسك بالمدفع الرشاش فقتل قبل ان يتمكن من اطلاق عيار ناري واحد • الامر الذي سهل علينا الخروج • الا انه كان علينا ان نواجه في ذلك اليوم معركة عنيفة استنجد اثناءها العدو بالطيران بعد ان تكبد خسائر فادحة • وعند غروب الشمس تراجع حاملا معه امواته وكانوا قرابة الاربعين • واستشهد منا ستة •

* * * *

دخلت امرأة الغرفة سائلة : هل طلبتموني • فاجابها سي عثمان : لا

ـ اذن سخر مني دا موح

ـ انى لم اطلب مقابلة امرأة بل المكلف بالاتصالات

ـ أنا المكلفة بالاتصالات الا اعجبك •

ـ بلى • ولست الاولى من نوعك • الا انني عند ما جئت الى هنا في المرة الاخيرة كان المكلف بهذه الخطة رجلا

ـ تعني عمار او قاسي ؟ انه زوجي • لقد مات منذ ايام في مركز بـ •••

ان الحديث عن الاموات في الجزائر اصبح لا يؤثر على احد • فحتى النساء جمدت عيونهن • لقد كانوا في اول الثورة يقدمون تعازيهم الى العائلات المنكوبة وينتقلون باجمعهم من قرية الى اخرى لنقل جثث القمع اما اليوم فقد بلغ عدد الاموات في كل قرية حدا لم يعد معه من الضروري التنقل من قرية الى اخرى ليقوم المرء بواجبه الديني او الوطني

قال عثمان ولم يفاجأ بشجاعة هذه المرأة : يرحمه الله ، هل لك اولاد

ـ لي طفل في الثانية من عمره ان لم يقتلوه يوما من الايام •

ـ ان الموت بيد الله يا اختاه وليس الانسان الا آلة بين يديه • ثم ان كل نفس ذائقة المـوت

لكن اخبريني كيف تجدين قوتك

ـ اعيش بما اتصل به من اعانات ٠ انك فى حاجة الى ٠ اليس كذلك

ـ نعم اريد ارسالك الى قريـة آيت بـ ٠٠٠ لتسلمى رسالـة الى الاخ سى شعبان ثم انتظرى الجواب ٠ فاذا اعترضك فى طريقك جنود العدو ماذا تفعلين٠

ـ امـزق الرسالـة

ـ وبعـــد ذلـك

ـ ارجع الى هنا او اواصل طريقى

ـ ان المهمة لا تتم لا٠لا يكون العمل هكذا ٠ فاذا اضطررت الى تمزيق الرسالة اخبرى سى شعبان باننا هنا بصحبة بوجمعة والرومية التى كانت معه ٠ هل فـهـمـــت

ـ ليس هذا الامر صعبا

ـ اذن حالفك الحظ

ـ شـكـــرا

* * * *

واقترح ابراهيم قائلا : لو خرجنا الآن نتفسح قليلا فى هذه الظلمة ٠

ـ واردف سى عثمان : هى فكرة طيبة نتمكن بها من معرفة هل ان المسبلين يقومون بالحراسة كما ينبغى ٠ لكن لا تنسوا بنادقكم ٠ وليبق واحد صحبة بوجمعة ٠

ان اهل القرى التى تزورها دوريات العدو ليلا تعودوا غلق ابـوابهم بعـد صلاة المغرب ولا يفتحونها الا بعد بزوغ الشمس ٠ والويل لمن يفاجأ خارج منزله بعد الوقت المحدد لمنع التجول ! الا انهم ليسوا فى مأمن من الخوف حتى فى منازلهم ٠ ان الخوف يسيطر فى كل مكان ولا شك انه يتفاقم ليلا : فصرير الباب وحركة القط يقفز على السطح وقرقعة قذيفة تنفجر كل ذلك مدعاة لانقباض القلب والشعور بالاختناق ٠ وان النسيم الذى يداعب اغصان الاشجار يمكن الخوف من ان يفرض عليك الارق ساعات طوالا ٠ ولا تنفتح الابواب الا امام الجنود الفرنسيين اذ تعرف لغتهم القاسية وضرباتهم العنيفة ٠ واذا ما سمع صوت صديق يطلب الاحتمـاء تردد القوم فى الاستجابـة الا ان يكون الطالب

المسؤول السياسى . اذ كثيرا ما يستعمل العدو بالتهديد رجال القرية ليفتح السكان ابواب منازلهم ثم يتهمهم بالتعاون مع الثـوار . « والقـوم » انفسهم يستعملون هذه الطرق اليسوا هم الذين اعدموا فى ليلة واحدة بقرية حيدوسان وقريـة على بنـاح اربعـة واربعين رجـلا استجـابوا لندائهم الغادر : الجهاد فـى سبـيـل الله

ولما وصل رجال جيش التحرير الوطنى الى وسط بطحاء الجماعة حيث احتد النقاش بعد ان استقبلهم الجميع رجالا ونساء استقبالا اخويا وشملوهم بعطفهم . فهم ينتظرون منذ نشاتهم انبثاق عهد الامـل . ولما احـاطت النساء بالسيدة « بولاراس » ونظرن اليها بعين العطف اضطرت الى ان تاخذ بين يديها الاطفال الذين عرضوا عليها . ولما رأى سى عثمان ذلك شرح لها ما ينتظرنه منهـا وهو فحص الاطفال الصغار . وقال لها :

ــ لا تنسى انى جعلت منك طبيبة ولو انك لست بطبيبة .

ــ نعم انى لست طبيبة فى الواقع .

ــ لا يهم ! يجب الا تخيبى ظنهن . سيقوم بالباقى ممرضنا

لكن لماذا لا يذهبن الى طبيب حقيقى والحال انه يوجد واحد فى المركز

ــولنا اطباء نحن ايضا يأتون الينا بانتظام

ــ لكن . هل تظنين ان جميع الاطفال الذين ترينهم مرضى حقا .

ــ لا ابدا.الا ان الامهات يعتقدن ان للمجاهدين بركة من الله يكفى ان يلمسوا احدا لتزول عنه جميع امراضه . وبفضل هذا الايمان الساذج استطعنا ان نعالج بوسائل بسيطة امراضا اشد خطورة . اما اطباء المـركز فان اكثرهم فقدوا ضميرهم الصناعى وكلهم فى خدمة سياسة بعينها . وان المشكل الوحيد الذى يقلقنا هو مسالة النساء الحوامل من جنودكم . اذ انه لا توجد امرأة واحدة تود الابقاء على جنينها وهن كثيرات فى جميع قرانا .

* * * *

ومن الغد غادرت الفرقة القرية فى الصباح الباكر وتوزع افرادها فى غابات الزيتون المجاورة اذ اتصلوا البارحة بارشادات تفيد ان عمليات تفتيشية واسعة النطاق ستجرى فى «الدواوير» المجاورة ، والافضل مغادرة القرية فى حالة ما اذا

انتصبت دورية حراسة حوالى القرية او داخلها وذلك لئلا يستولى القلق على النفوس ٠

ومن فوق سطح منزل مشرف على « الدواوير » الموجودة على الضفة الاخرى من النهر شهدت « السيدة بولاراس » جميع اطوار معركة مهولة ٠ فمنذ طلوع الشمس نزلت عدة فرق من الجنود واخذوا يفتشون القرى والحقول ٠ وهم يتنادون فى صخب تشجعا ٠ وفجأة انطلقت عيارات نارية ولم يكن يتوقعها احد ٠ فكانت كالانشودة المؤلمة لا مطلع لها انفطرت لها القلوب المباغتة ٠ وفى هذه الفوضى الصوتية المثيرة للاعصاب كان يمكنك ان تتبين بوضوح بنادق الصيد وكانها مختنقة فقدت نفسها من شدة التفاوت بينها وبين السلاح المقابل وكانت الطائرات ب 26 (وليس هذا الرمز يشير الى نوع من الفيتامينات) تنقض وتنقض على الشجيرات المغطية لسفح الجبل والتى تنطلق منها عيارات نارية لبعض المسبلين اتوا من القرى المجاورة طالبين الامن فى ظلها بينما كانت الدبابات تصب على غابة الزيتون حمولتها القاتلة فى قعقعة مهولة ٠

وتواصل القتال ساعات بينما كان الآخرون يشهدون ذلك من بعيد وليس لهم من اعانة يقدمونها سوى الفاتحة التى لا تجدى نفعا مع الاسف ٠

وفى وقت من الاوقات رأت السيدة « بولاراس » امرأة حاملة صبيها بين يديها تخرج من تحت الاشجار متوجهة الى قرية اخرى ، فحلقت فوقها طائرة استطلاع بضع دقائق ثم وقع انفجار سقطت على اثره الام وطفلها ولم يقوما بعد ذلك ٠

وعند ما ارخى الليل سدوله عاد الرجال الذين بعثهم سى شعبان ٠ فاندهش الجميع عند ما سمعوا سى احمد يقول : استشهد مسبل واحد ومائة واثنا عشر جميعهم مدنيون ٠ ولقد عثر فى هوة على جثة امرأة صحبة طفليها الصغيرين وهى تعانقهما بيديها المزقتين ٠ وقد سعى المسبلون من غير جدوى فى اقناع السكان بالبقاء فى قريتهم ولكنكم تعرفون جوابهم فى مثل هذه الحالة : الموت افضل من التعذيب او العار ٠

فاردف شعبان قائلا : وغدا سترى الصحافة ان مائة واثنى عشر متمردا جندلوا ٠

ـ نقل « الفكر » ـ

تحيـــــة « الفكر »

بقلم : احمد البختري

ننشر فيما يلي هذه الابيات المطرزة باسم مجلـة « الفكـر » وقد تفضل بها السيد احمد البختري بمناسبة عودة المجلة الى قرائهـا فى سنتها السابعة ، مع الشكر

مـلكت ، ولـم يملك سـواك لنـا « **الفكر** »
كمـا ملكت مـن قبـل ءايـاتـك الغـر

جـمالك فى « **الخضـراء** » زاه ومشـرق
كمـا النـور فـى الظلمـاء أوجـده البـدر

لـقد عـدت ، ان العـود للعقـل جنـة
بـأزهـارهـا ، والعقـل ينبـوعهـا الثر

تـنيـر لنـا سبـل المعـارف والحجى
بصـائـب رأى ، زان منطقـه الـدر

أتيـت لنشـر العلـم والحكمـة التى
بـدت للعيـان اليـوم مذ طـوى النشر

لـها الفضـل فى اظهـار ما كان خـافيا
كمـا اختفت الانـوار ، جللهـا الستـر

فـفى روضهـا الفـواح بـين أزاهـر
وبـين الخيـال الخصب ينسبـك « **الفكـر** »

كـأنه طيـر الأنس ينشـر فى الفضـا
تغـاريـده ، والجـو ضمخـه العطـر

ر ضـاء رجـال « **الفكـر** » عنـك « **مجلـة** »
بعـودتـك الفيحـاء يهنئـك الشعـر

(احمـد البختري)

اضواء الفكر

• **الذكرى السابعة والعشرون لوفاة الشابي**

احيت تونس الادبية الذكرى السابعة والعشرين لوفـاة فقيد الادب العربي الشاعر ابي القاسم الشابي .

ونظمت بهذه المناسبة « رابطة القلم الجديد » امسية شيقة حضرها جمهور غفير من الادباء والمثقفين ورواد الفكر وافتتحها رئيس الرابطة الاستاذ نور الدين صمود منوها بقيمة الشابي وبواجب الادباء في تونس خاصة وجميـع البلدان العربية الاخرى عامة ثم القى جمع من اشهر عناصر التمثيل بالفرقة البلدية للتمثيل مجموعة مختارة من شعر الشابي القاء فنيا رائعا ، كما شارك المطرب محمد احمد بانشاد قصيدة « الصباح الجديد » من تلحينه والمطرب عمر الغزالي بقصيد لمنور صمادح نظمه احياء لذكرى الشابي بعنـوان : **« صوت الشابي من وراء العدم »** .

ونظمت الاذاعة الوطنية ايضا اسبوع ابي القاسم الشابي اسمعت اثناءه تلاحين جديدة لقصائد الشابي وكذلك بحوثا وندوات طريفة .

وهذا نص الكلمة التي قدم بها الاستاذ عامر غديرة اسبوع الشابي :

حياة الشابي الدنيوية قصيرة وحياة الشابي الادبية قصيرة ايضا . فلقد عاش خمسا وعشرين سنة ولقد عاشر الادباء خمس سنوات تقريبا ـ ظهر صغيرا وغاب سريعا واتى جديدا . فكأن قصر مدته قد زاد نغمه الجديد قوة وخلق حول شخصيته الطريفة مشاكل . فاحدث الشابي هزة واعجابا ونقمة واضطرابا شيء جديد ظهر للتونسيين ثم غاب فترك في الناس ضجة وجعل بينهم خلافا واقوالا . هذا الناقد يراه سعيدا راضيا مرضيا وهذا المترجم له يراه شقيا ساخطا ثائرا . وهـذا يتحدث عن الشابي البكاء الشكاء والآخر يتحـدث عن الشابي الضحوك المترنم ، وعن الشابي الوديـع الصامت المنزوي او الثائـر الصاخب الصارخ ، وعن المنهزم المودع الحياة او المنتصر المنشد « ارادة الحياة » .

ثم ان اصدقاءه ذهبوا فيه مذهب التمجيد والتعظيم فرأوه بحق اول شاعر تونسي يخترق اسمه الحدود التونسية ويعرف خارج تونس في وقت كانت فيه تونس مجهولة حتى عند اشقائها العرب والمسلمين. فاشتهر امره في الشرق وراج في الغرب بعض الرواج ونقلت اشعـاره الى الفرنسيـة والانقليزيـة وحتى السويدية .

وذهب اعداؤه مذهب الثلب والتحطيم يلصقون به التهم الدينية مثلما كان يفعل اصحاب القديم في العصر العباسي بالشعراء المجددين فاذا ارادوا هلاك احدهم حسدا ونفاقا اخرجوا عليه انه يدين بالزندقة ولا زندقة ٠

واصبح الشابي رمز التناقض بين جيلين متتابعين وبين ثقافتين مختلفتين بين القديم والجديد بين الاب وابنه بين الشرق المحافظ والشرق في تجدده فثار ـ وهو صاحب الثقافة العربية الخالصة ـ على هذه الثقافة **في خياله الشعري** لانه رآها لم ترض رغائبه ٠

وتمر الايام ويمشي الزمان ويعدل الناس آراءهم فيه ويغيرون احكامهم ٠ فاذا الذين اتهموه في دينه قد اصبحوا يدرسونه رسميا في جامع الزيتونة ٠ ثم ظهر اسمه في مختلف البقاع : فتسمت الشوارع به والمدارس والحدائق والمستشفيات ومن يدري لعلنا ادخلناه في المستقبل القريب الجامعة التونسية الجديدة وقد تحدث جائزة ادبية باسمه وقد يعظم الاعتناء به فتؤسس جمعية احياء الشابي او المدافعين عنه وربما ذهبت كتابة الدولة الى ان تخصص له طابع بريد بصورته ٠

ولئن عظم بمرور الزمان في اعين الناس فلقد ضعف الاعجاب به احيانا وبدأ بعضهم في نقدهم له يظهرون مواطن الضعف في اللغة والاسلوب والمعنى وفي اطالة القصيد ٠

والآن وقد كثر الكلام عنه كثرة هائلة في غير تقدم يجب علينا ـ في رأيي ـ ان نترك لجيل بعيد عنه لم يعرفه الوقت الكافي ليدرسه دراسة نقدية علمية مجردة ليضعه موضعه ويفهمه حق فهمه ٠ ويجب علينا نحن ان نعين هذا الجيل بنشر ما بقي من تراثه المبعثر وبايضاح تواريخ قصائده حتى نتبع تطوره الروحي والشعري خصوصا زمن مرضه ما بين 1930 و 1934

• اتحاد الادباء العراقيين وبنزرت

لقد خصصنا جانبا كبيرا من عددنا الفارط لتسجيل ما استلهمته قرائح الشعراء والادباء من حوادث بنزرت واشدنا بالبطولة النادرة التي اظهرها الشعب التونسي في هذه المحنة وفي مقدمته الشباب وعبرنا عن ارتياحنا للتضامن الذي اظهره نحونا جميع الاحرار في العالم وخاصة اخواننا في العالم العربي ٠ ومن آيات هذا التضامن ما قام به اتحاد الادباء العراقيين من نشاط وابداه من حرص على مواكبة ثورتنا المقدسة والتعاطف مع شعبنا مما يذكر فيشكر ويقيم الدليل على ان الادباء في العراق الشقيق في طليعة المناضلين الواعين لرسالة الحرف المقدسة ٠

فقد اتصل مدير هذه المجلة من الدكتور علي جواد الطاهر سكرتير اتحاد الادباء

العراقيين برسالة يؤكد له فيها مساهمة الادباء العراقيين فى الاعراب عن أثر حوادث بنزرت الشهيدة ومغزاها ودلالتها فى توحيد الصفوف لرد كيد المعتدين والمحافظة على كرامتنا واستقلالنا وبلغه صحبتها نص البرقية المرسلة الى دار الجمعيات الثقافية وكذلك جملة من القصائد والمقالات نشرت على صفحات الجرائد بالعراق الشقيق حول مأساة بنزرت

ـ نص البرقية :

ان اتحاد الادباء العراقيين الذى يؤمن بالحرية والديمقراطية يستنكر الجريمة النكراء التى ارتكبها الاستعمار الفرنسى تجاه تونس المكافحة ويقف الى جانب حكومته الوطنية التى ازرت شقيقتها تونس وانه ليهيب باحرار الفكر فى البلاد العربية والعالم ان يجندوا اقلامهم لنصرة تونس فى قضيتها العادلة لتصفية الاستعمار ويهتبل هذه المناسبة فيحى ادباء تونس الاحرار ويكبر نضال الشعب الشقيق من اجل الاستقلال والسيادة الوطنية التامة ٠

◆ قصيد لهاشم الطعان بعنوان « تونس »

طوبى لنديك ان الفجر فى النادى ... يا لفتة البشر فى احداق اولادى
على هضابك لمح من تالقهم ... يبات فى الزحمة الجلى بمرصاد
ويستبيح غرور العلج جنتها ... فتستبيح غرورا عدوة الوادى
طوبى لناديك ان الوغد مندحر ... وفى غد تعقد الاسمار فى النادى
وقد يكون حديث الوغد ذا شجن ... وقد يعيث باضلاع واكباد
لكن نشوة نصر فى تالقها ... تظل تلطم ذكر المجرم الغادى
اكبرت يومك ان يشقى باوغاد ... وعز شعبك ان يبقى باصفاد
هذى القرابين لم تهدر وان حسبوا ... ان المجازر تقى وطء جلاد
فاستلهمى النصر من اشلائها صعدا ... وعند مصرعها هبى باحقاد
وافهمى غادرا ان الشعوب اذا ... جالت على جائر من طسم او عاد
لم تبق الا احاديثا يناقلها ... تاريخ ابنائنا مجدا لاحفاد
يحدثون بان عفى بنا زمن ... على خرافة اقيال واسياد
توقلت همم منا الى قمم ... شماء عزت فما ذلت لمرتاد
لقد نذرنا نفوسنا كى نطمئنها ... حتى تهلل من زهو لرواد
حييت تونس من دارات امجاد ... اجملت تضحية ، خضراء فاعتادى
يظل يظما شدق من أخى شره ... وانت مطعمة النيران بالفادى
نسقيه من دمنا حينا ومن دمه ... حتى يبل ظما من اهوج صادى
اقسمت بالثورة الكبرى باولادى ... بالثائرين تلاقوا عند ميعاد
بكل ايماءة نحو الطريق التى ... تفضى الى سوح اعراس واعياد

لنسحقن على درب نطاحنها ما روع الصبية الغافين في الوادي
فلن يقيم على ضيم ومسغبة الا الاذلاء من بهم واوتاد

- **مقال لباسم عبد الحميد بعنوان : بنزرت تنادي شعوب العالم**

انني بنزرت المدينة الشهيدة • ساظل اغرز الحقد المقدس في قلوب اليتامى ومن سيلد بعد المعركة الاولى •• انني بنزرت سالقن ابنائي الذين شهدوا الهول دروسا في النبل والعطاء وساضع صور الضحايا نصبا في ساحاتي لكي تعلم شعبي الذي سيولد من جديد ما هو الاستعمار ؟

كان خيرا ان اثكل بابنائي ، كان خيرا طيبا ان افقد ما يقارب الالف فتاة يانعة وشاب يطلب العلم وجندي باسل خاض حرب التحرر وامرأة عركتها معارك الاستقلال الوطني وعامل خدم في جبهة الحرب سابقا وخدم في مصنعه قبل ان يموت وفلاح قلب المحراث الى بندقية فما ان حصل على الاستقلال حتى ارجع المحراث الى حالته ليدر الخير والبركة •

كان خيرا ان اضحي بابنائي قرابين جددا على مذبح الحرية وكان خيرا ان يتلطخ وجه الاستعمار ببكاء الاطفال الفاقدين امهاتهم وبحشرجة الحوامل وبصرخات الهتاف بحياة تونس من قبل الجنود البواسل الذين صفوا صفا واحدا في داخل قاعدة الاستعمار الجاثمة على صدري واستقبلوا رصاص الخسة والدناءة على صدورهم وهم يهتفون ويروعون في هتافهم هذا شجعان ما ريان الذين حشدوا اغلب ما عندهم من ضفادع مسلحة لكي يقيموا عرس الدم •• عرس قتلاي وشهدائي •

لقد ضقت ذرعا بهذه الحامية فكم من جنود تدربوا فيها ثم خرجوا يقصدون اخوتي في ارض وهران ، وكم حطت فيها طائرات اليوتو الامريكية مغلفة بعلم ماريان الجنائزي العاهر الذي لا يخجل ، وكم من مرة شهدت حروف حلف الاطلسي ملصقة على كعوب رشاشات جنود ماريان •

كن ايمان شعبي رائعا وقد شهد العالم حصيلة هذا الايمان الاولى ، الف قتيل دفعة واحدة الف بطل وبطلة ، حاربوا ببنادقهم القديمة التي استبشرت لانها تقوم بدورها الجديد ••• دور المحافظة على الاستقلال وترسيخه وبمسدساتهم التي سبق ان اطلقت وانت في هضاب بنزرت وفي ربوع الساحل التونسي امام الاستعمار المباشر وبحدائدهم واخشابهم وحتى بهتافاتهم •• اجل هذا آخر سلاح وارهبه •••• حتى انه طفل يبحث عن ثدي امه القتيل •• حتى الانة كانت تكفي لتوشية الجسم اللدن بخزان رشاش كامل وقد شهدت ايها العالم كله صور هذا العدوان •

اننى بنزرت تونس اقسم على المواصلة وادق قدمى فى الارض ثابتة لا تريم ، لانادى شعوب الارض كى تشترك معى لانها ٠٠ قضيتى ٠٠ قضيتها ٠

اننى بنزرت ، المدينة الشهيدة ساظل اغرز الحقد المقدس فى قلوب اليتامى ومن شرد بعد المعركة الاولى ٠ ٠ اننى بنزرت ، سالقن ابنائى الذين شهدوا الهول دروسا فى النبل والعطاء وسأضع صور الضحايا نصبا فى ساحاتى لكى يتعلم شعبى الذى سيولد من جديد ما هو الاستعمار ؟ ضربة خنجر أم بقر بطن ولود أم رشيشة خائنة تطرز ظهر شجاع من الخلف ٠

انا بنزرت الابية الشهيدة ، حلقة جديدة من حلقات الاباء والخيانة ، النبل والخسة ، الطيبة والدناءة ، الحرية والاستعمار ٠

أجل لقد اجتمعت المتناقضات فى معركة وقد شهد الرجل الانيق همرشولد جانبا منها ثم حك رأسه بمنديله المعطر متأقعا ثم عاد ليطبخ باقى فصول الجريمة فى معمله بالاشتراك مع كندى وماكميلان وأديناور وقد بارك الاربعة ديغول وقبلوه وحلموا بمجزرة جديدة أخرى يدبرونها ٠ ٠ من يعلم ؟ فى لاوس ؟ فى وهران ؟ فى العراق ؟ فى عدن ؟

أننى أسخر من هؤلاء واهزأ بهم بل وأشرحهم علنا واثقة من شعبى ومن مجدى ومن أصدقائى

ان جندى الخير واحد فى كل العالم ٠ ٠ سيحطم حتما رسل الشر وسيكسر أنف ديغول ويوضع فى الرغام بيد ابناء فرنسا ذاتهم ٠

أنا اعلم والتاريخ يعلم وسأظل على صمودى ٠ ٠ يا شعوب العالم اجمع ٠ ٠

ــ وكذلك مقال للدكتور على جواد الطاهر بعنوان « اقلامكم ايها الادباء » ودراسة لعبد الحميد المحارى عن «الاصدقاء والاعداء فى الادب والسياسة» ومقال بعنوان « ماذا لو ان الشيوخ ٠٠ ! » لعبد المجيد لطفى وبحث عن « بنزرت٠٠ وكل القواعد » لا لفريد سمعان ومقال آخر لمحمود الريفى تحت عنوان « يسقط الاستعمار فى كل مكان » ٠

وفى الختام نتقدم الى جميع الادباء العرب وخاصة الى رجال اتحاد الادباء العراقيين بعبارات الشكر والامتنان باسم الادباء التونسيين سائلين الله ان يعين العاملين المناضلين ويلهمهم الى ما فيه عزة البلاد وكرامة المواطن العربى حيثما كان ٠

• **نظمت ولاية سوق الاربعاء مسابقة شعرية لمناسبة عيد المرجان وقد شارك الشاعر محمد الشعبوني بهذا القصيد :**

« طبرقة »

هنا ـ والطبيعة تحيى النفوس تجلت (طبرقة) ازهى عروس
تميل وترقص بين الغروس وفى ثغرها من رحيق الكؤوس
شراب حلال يغذى النفوس

هنا والجبال كستها الثلوج وسال بها الماء عذبا يموج
يفيض الجمال وتزهو المروج ويهفو نسيم الصبا ويروج
وتزهو الحياة وتحيا النفوس

شواطى (طبرقة) فى يوم عيد عليها من البحر جو مديد
وفى بحرها الصافى نبع فريد ومرجانه القانى عقد نضيد
يزين الوجود ويسبى النفوس

تأمل ففى الغاب مرحى العبر وقلب بحب الحياة سكر
ولحن يموج بأزهى الصور وبارك جمالا سما وانتصر
هنا فى طبرقة طب النفوس

طبرقة فى الحسن دنيا نعيم هواء وماء وشدو رخيم
وصحو جميل وعيش كريم خلال الرياض وظل النسيم
بها الشعر يرسل وحى النفوس

فخلد بهاها وغن الشباب اناشيد وحى الجمال العذاب
وقض بها بين خير الصحاب اويقات أنس لذاذا طراب
تغذى الشعور وتحيى النفوس

• **رابطة القلم الجديد**

عقدت رابطة القلم الجديد جلسة طارئة يوم الثلاثاء 26 سبتمبر 1961 على الساعة السادسة والنصف مساء بدار الجمعيات الثقافية وذلك قبل توديع رئيسها السيد الشاذلى زوكار الذى عين ملحقا بسفارتنا فى القاهرة وقد وقع انتخاب هيئة جديدة تدير الرابطة على النحو التالى :

الرئيس الشرفى : محمد المرزوقى ـ المستشار الشرفى : زين العابدين السنوسى ـ الرئيس المباشر : نور الدين صمود ـ نائبه : ناجية ثامر ـ الكاتب العام : عبد الرؤوف الخنيسى ـ نائبه : عبد المجيد التلاتلى ـ امين الصندوق : حمادى السنوسى ـ نائبه : على شلفوح ـ الاعضاء المباشرون : الشاذلى زوكار « القاهرة » ـ الهادى نعمان « المنستير » ـ زبيدة بشير ـ منور صمادح ـ الحبيب عباس ـ عبد المنعم يوسف ـ البشير خريف ـ عزالدين المدنى ـ الرشيد الذوادى « بنزرت » ـ محمد الانقليز « قليبية » محمد مسعود الشابى ـ حسن الرمادى « صفاقس » ـ خليفة الشاطر « صفاقس »